مكتبة مصر
مسرح السياسة
علي أحمد باكثير



مسرح السياسة

تمثيليات سياسية

تصوير فني للكفاح العربي الإسلامي ضد الاستعمار

تأليف

علي أحمد باكثير

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

« ويوم تقوم الساعة يُبْلس المجرمون . ولم يكن لهم من شركائهم شُفعاء وكانوا بشركائهم كافرين »

« قرآن كريم »

تقدمة

ألح علىّ كثير من إخوانى الاعزاء ممن قرأو التمثيليات السياسية التى كنت أنشرها على صفحات جريدة « الإخوان المسلمون » الغراء فيما بين (١٩٤٥ و ١٩٤٨) أن أجمعها فى كتاب ليستعيدوا قراءتها ، وليقرأها من لم يطلع عليها من قبل ، فلم يسعنى إلا النزول على هذه الرغبة الكريمة .

ولما كان من المتعذر جمع تلك التمثيليات كلها فى كتاب واحد ، إذ يبلغ عددها زهاء خمسين تمثيلية ، فقد اقتصرت فى هذا الجزء على بضع عشرة منها ، مؤملا أن أتمكن من نشر الباقى فى أجزاء أخرى إن شاء الله .

وسيرى القارىء أن هذه التمثيليات وإن كانت مستوحاة من ظروف وحوادث قد صارت فى ذمة الماضى ، إلاّ أن مغازيها والقيم التى ترمز إليها فى محاربة الاستعمار بشتى صوره وألوانه ، ومن جميع دوله وأعوانه ، باقية كما هى على مدى الأيام . فضلا على القيمة الفنية لهذا اللون الجديد من أدبنا التمثيلى الساخر مما أكل الحكم فى ذلك للقارىء نفسه ؟

المؤلف

السكرتير الأمين

(١)

في منزل سكرتير هيئة الأمم المتحدة بليك ساكسس

(يعود السكرتير إلى منزله فتستقبله زوجته لتساعده على خلع معطفه ولكنه لا يلتفت إليها بل يهرول إلى غرفته الخاصة حيث توجد خزانته الحديد)

الزوجة : (تجرى خلفه) ماذا بك ياعزيزى ؟ ألا تدعنى أخلع عنك معطفك ؟

السكرتير : دعينى أولا أودع ما عندى فى الخزانة ثم افعلى ما بدا لك .

الزوجة : (تتضاحك) إن من يراك على هذه الحال يحسب أن لصاً كان يطاردك ليسرق نقودك .

السكرتير : هذه هى الحقيقة ياعزيزتى فقد كنت أمشى بين الناس والناس جميعاً لصوص !

الزوجة : ليس فى جيبك إلا المصروف اليومى ، فلو جرؤ أحد على اختلاسه ما اختلس شيئاً ذا بال .

السكرتير : (بصوت خافت) كلا بل جئت معى براتب الشهر .

الزوجة : اليوم ؟ لم يجىء أول الشهر بعد فكيف قبضت راتبك ؟

السكرتير : قد اتفقت معهم على أن يسلمونى راتبى قبل أول الشهر بيومين على سبيل الاحتياط ، لأن النشالين يختارون أول الشهر للقيام بغاراتهم

(يخرج الأوراق المالية من جيبه ويعدها متوجسا ليودعها فى الخزانة)

الزوجة : عجباً لك ياعزيزى . تحتاط هذا الاحتياط الشديد ثم لا تودع أموالك هذه فى أحد البنوك فذلك أحرز من هذه الخزانة .

السكرتير : أتريدين ياعزيزتى أن تعرفى كل سر من اسرارى ؟

الزوجـة : ما دام السر لا يتعلق بامرأة أخرى فما يمنعك من إطلاعى عليه ؟

السكرتير : فاعلمى انى أودع راتبى الشهرى هنا . أما البنوك فأودع فيها ما يأتينى من وراء ذلك . وهذا من باب الاحتياط أيضاً دفعاً للريبة .

الزوجـة : أف لك ! أوقعت فى شرك إحداهن ؟

السكرتير : ماذا تقولين ؟

الزوجـة : (متمعرة الوجه) قد أنذرنى قلبى بهذا من قبل !

السكرتير : إنى ما فهمت شيئاً مما تقولين .

الزوجـة : لا تتجاهل قصدى !

السكرتير : (غاضباً) ياهذه وضحى لى فانى والله ما فهمت .

الزوجـة : بلغنى حين قدمت إلى هذه البلاد أن فيها مليونيرات مغرمات بالاتصال بأرباب الشهرة من الرجال ينفقن عليهم من أموالهن !

السكرتير : يا لغيرة النساء أما تعلمين أنى رجل مشغول من فرقه إلى قدمه فأنـّى يتسع وقتى لمثل هذه المغامرات السخيفة ؟

الزوجـة : فقل لى من أين يأتيك « ما وراء ذلك » ؟

السكرتير : أوثر ألا اثقل قلبك بكتمان هذا السر .

الزوجـة : (بلهجة قاطعة) إن لم تخبرنى به صدّقت ما أنذرنى به قلبى .

السكرتير : أوه . . هذا شيء لا يطاق !

الزوجـة : لا أعفيك من البيان فما جئت إلى أمريكا لأخسر فيها زوجى !

السكرتير : أقسم لك بأنه لا يأتينى من طريق امرأة .

الزوجـة : فمن طريق رجل ؟

السكرتير : نعم .

الزوجـة : من هو ؟

السكرتير : أوه . . . ألا يكفى أن تعرفى أنه رجل فحسب ؟

الزوجة : من هو ؟ اذكر لى اسمه ،
السكرتير : موسيه شيرتوك . . أفاطمأننت الآن ؟
الزوجة : لا !
السكرتير : عجباً .. ألم تسمعى قط بهذا الاسم ؟ أتخشين أن يكون صاحبه امرأة ؟
الزوجة : بل أخشى أن يكون همزة وصل ، فإنى أعرف هؤلاء اليهود . . .
السكرتير : هس . . . اخفضى صوتك . آه لو علموا أن زوجتى تحمل هذه الروح اللاسامية لقضى على مركزى ومستقبلى !
الزوجة : إنك لا تفكر إلا فى مستقبلك . . ومستقبلى أنا ؟
السكرتير : قد بينت لك الآن أن مستقبلك فى أمان .
الزوجة : أتنكر أن هؤلاء اليهود يقدمون . . .
السكرتير : (مقاطعا) كلا ولكنى لست من أولئك الرجال الذين تفتنهم هذه الأمور التافهة . أنا لا أقيم وزنا إلا للمال . ثم ماذا يدعونى إلى ما ظننت وعندى من جمالك ما يغنينى عن تلك الهنات ؟
الزوجة : انك تخادعنى وتداورنى بإطراء جمالى عما نحن بصدده !
السكرتير : ما هو هذا الذى نحن بصدده ؟
الزوجة : لعلك نسيت أنك حدثتنى ذات ليلة أن هذا الرجل كان يقيم لبعض مندوبى الدول سهرات حمراء .
السكرتير : أى بأس فى ذاك ؟ فهل حدثتك أننى كنت أشهد تلك السهرات ؟
الزوجة : ما كنت لتعترف لى بمثل هذا .
السكرتير : مخطىء من يحدث زوجته بما لا يعنيها من أخبار الناس فتتخذه سبباً للاسترابة والتشكك !
الزوجة : هل ندمت الآن على أن وضعت فى يدى أدلة اتهامك ؟
السكرتير : أى اتهام ياهند وأية أدلة ؟ لقد صدعت رأسى .
الزوجة : كفى دليلا عليك اتصالك بهذا الرجل !

السكرتير : أؤكد لك أن اتصالى به فى أمور سياسية ومالية ليس غير .

الزوجـة : ما يؤمنى ألا يكون شىء آخر وراء ذلك ؟

السكرتير : من حسن الحظ ياعزيزتى أن موسيه شرتوك هذا سيزورنى هذا المساء ففى وسعك أن تتسمعى لما يدور بيننا من الحديث إن شئت .

الزوجـة : إذن فاستقبله فى هذه الحجرة حتى أتمكن من سماع حديثكما من حجرة نوى .

السكرتير : (يقفل الخزانة) لك ما تريدين على شرط ألا تبوحى لأحد بما تسمعين من الأسرار . . . السياسية والمالية طبعاً !

الزوجـة : فيم هذا الاشتراط ؟ ألا ترانى أهلا لكتمان الأسرار ؟

السكرتير : بلى ياعزيزتى ولكن النساء كما يقولون ميالات إلى الثرثرة . . . فذكرت هذا الشرط من باب الاحتياط . .

(٢)

السكرتير يستقبل موسيه شرتوك .

السكرتير : أهلا بك ياسيدى . . لا تؤاخذنى إذ لم أستقبلك فى حجرة الضيوف فإنى آثرت هذه الحجرة الخاصة من باب الاحتياط لئلا يتسرب حديثنا إلى مسمع أحد .

شرتوك : هل فى المنزل أحد من الأجانب ؟

السكرتير : لا ليس فيه غير زوجتى وأولادى ، وكان فى وسعى أن أستقبلك فى حجرة الضيوف ولكنى آثرت هذه من باب الاحتياط ياسيدى . . من باب الاحتياط فقط .

شرتوك : أشكرك ياسيدى .

السكرتير : هذه حجرة خاصة لا أستقبل فيها أحداً من الضيوف ، ولكنك ياسيدى قد أصبحت من أخلص أصدقائى ولم تعد بيننا كلفة . . بل يمكننى أن اعتبرك الآن واحداً من أفراد الأسرة . . إن كان هـذا لا يضايقك بالطبع .

شرتوك : هذا لطف كبير منك . وإنى باسمى وباسم الوكالة اليهودية وباسم المجمع الصهيونى العام أقدم لك أخلص آيات الشكر والحمد .

السكرتير : (يتنحنح) لعلك يا سيدى جئتنى بشىء معك !

شرتوك : لا تعجل يا سيدى فلم نتحدث فيما جئت من أجله بعد .

السكرتير : معذرة يا سيدى ، حقا ليس من اللياقة ولا الكياسة أن أبدأك بهذا ولكن يشفع لى أننا فى هذه الحجرة . (مشيرا إلى الخزانة) انظر ! إنى قد أنتظر ولكن هذه الملعونة لا تنتظر ! (يتضاحك) .

شرتوك : أعتقد أنها مدينة لنا بنصيب كبير مما تحتويه ، وأنها لذلك تثق بنا أكثر مما تثق بغيرنا ، وأرجو ألا يكون صاحبها أقل ثقة بنا منها !

السكرتير : تأكد يا سيدى أن ثقتى بك لا حد لها . أما هذه فيؤسفنى أنك أطريتها أكثر مما ينبغى . فهى لا تثق أبدا إلا بالراتب الشهرى الذى تضمنه سبع وخمسون دولة أما ما وراء ذلك فلا تثق منه إلا بما قد دخل إليها فعلا . فهل لك يا سيدى أن تطمئنها أولا ؟

شرتوك : قبل أن نتحدث ؟

السكرتير : لم لا ؟ سيكون لدينا بعد ذلك متسع من الوقت للحديث . . إنى قد فرّغت نفسى لك الليلة . . لك وحدك .

شرتوك : حسنا (يخرج ربطة من الأوراق ويسلمها له) .

السكرتير : أتسمح لى أن أعدها ؟

شرتوك : افعل .

السكرتير : إنى واثق بك كل الثقة غير أنى سأعدها من باب الاحتياط . . ومن يدرى لعلى أجد فيها زيادة فأردها لك (يعد الأوراق بسرعة ثم يودعها فى الخزانة) قليلا من الثقة يا ملعونة ! فقد أحرجتنى مع أعز أصدقائى (يغلقها ثم يعود إلى مجلسه) فى وسعك أن تتحدث الآن كما تشاء يا مستر شرتوك !

شرتوك : يؤسفنى أن أصارحك يا مسيو ريجى لى بأنك لم تصنع لنا حتى الآن شيئا .

السكرتير : لم أصنع شيئا ! أتقول هذا جادا يامستر شرتوك ؟

شرتوك : كل الجد . . وليس هذا برأيى أنا فحسب، بل هو رأى جميع اليهود فى العالم .

السكرتير : واقلة حيلتاه ! ماذا أستطيع أن أصنع ليرضى عنى هذا الشعب الحبيب ؟ لقد صنعت كل شىء فى سبيلكم حتى ليخيّل إلىّ أحيانا أننى لست سكرتير هيئة الأمم المتحدة وإنما أنا سكرتير الوكالة اليهودية أو سكرتير الجمعية الصهيونية العامة . والله لولا خوفى على مصلحة قضيتكم لجهرت بهذا الرأى على رؤوس الأشهاد وعلى رغم أنوف العرب وإن كانت نقودهم تصل إلى يدى كل شهر !

شرتوك : أيعطونك شيئاً ؟

السكرتير : كلا . . هؤلاء لا يعطون أحدا شيئاً . . إنما أعنى نقودهم التى تصلنى فى راتبى الشهرى

شرتوك : (يبدو عليه الاضطراب) يخيل إلىّ أنى أسمع حركةً . .

السكرتير : ماذا بك ؟ هل ارتعت لذكر العرب ؟ اطمئن يا مستر شرتوك فليس هنا منهم أحد .

شرتوك : كلا . . إنى لا أخافهم . . ولكنى سمعت حركةً هناك . .

السكرتير : أين ؟

شرتوك : خلف تلك الستائر .

السكرتير : ها . . هناك غرفة نومى . . لا تخف . . تلك كيتى تلعب خلف الباب .

شرتوك : كيتى . . من كيتى ؟

السكرتير : (يبتسم) قُطيطتنا العزيزة .

شرتوك : ظننت أن . .

السكرتير : كلا . . كلا هذه حجرتى الخاصة . . ومع ذلك سأرى من باب

الاحتياط (ينهض مسرعا ويدخل خلف الستائر ثم يعود) إنها كيق كما قلت لك تلعب خلف الباب .. تحدث بملء حريتك فأنت فى أمان.

شرتوك : إننا لا نهتم إلا بالنتائج يا مسيو تريجفى لى . . الصفقة لا تهمنا وإنما يهمنا الربح .

السكرتير : فقد ربحنا لكم قرار التقسيم . من كان يحلم بمثل هذا النجاح المنقطع النظير ؟ هذا حدث فريد فى تاريخ الدبلوماسية الحديثة . ألم تر كيف اتفقت عليه الجبهتان المتضادتان لأول مرة فى تاريخ الهيئة ؟

شرتوك : هذا راجع إلى قوة حقنا ونصاعة بيناتنا لا إلى جهد أحد . .

السكرتير : لا تدعنى يا مستر شرتوك أغير جميل رأيى فى ذكائك وحسن إدراكك للأمور (يتنهد) آه . . . هكذا الناس دائما : حينما ينزل ركاب الباخرة إلى الشاطىء ينسون فضل بحارتها (مشيرا بيده إلى نفسه) وفضل ربانها ؟

شرتوك : إننا لا نريد أن نجحد فضلك ولا فضل أصدقائنا الذين أيدونا فى قضيتنا العادلة . ولكن الباخرة — إذا أذنت لى أن أستعير المثل الذى ضربته الساعة — ما تزال فى وسط العباب تهددها الأمواج والعواصف !

السكرتير : غداً تهدأ العواصف وتسكن الأمواج . (يتثاءب ويمسح عينيه كمن يطرد عنهما النوم) .

شرتوك : بعد أن تتحطم الباخرة ويغدو ركابها طعما لكلاب البحر وحيتانه ؟

السكرتير : أما أنا فأعتقد أن الباخرة قد وصلت إلى شاطىء الأمان . ولكن لا بأس أن أجاريك على رأيك جدلا . فاعلم إذن أن الباخرة لن تتحطم أبدا مادام بحارتها من العمالقة المدربين وما دام ربانها — دعنى أطر نفسى قليلا يامستر شرتوك . . . إن الناس لا يعرفون من مقدرتى إلا قليلا مما أعرف فى نفسى — نعم مادام ربانها العظيم ساهرا عليها

(يزداد تثاؤبه ويظهر النعاس فى عينيه) مادام ربانها العظيم ساهراً عليها (بصوت متراخ من شـــدة النعاس) لا تفوته شاردة ولا تأخذه سنة ! .

شرتوك : هاهو ذا النعاس فى عينيك ... إنك نصف نائم الآن !

السكرتير : (يتثاءب ويمسح النعاس من عينيه) هاه ... هاه ... هذا صحيح .. ولـكنى الساعة فى منزلى ولست فى البحر ... أعنى أننى لست على ظهر الباخرة .. نعم أنا الآن فى منزلى .. هذه خزانة أموالى . (يتثاءب) هاه .. هاه ... وتلك زوجتى تلعب خلف الباب — عفواً ... تلك كيتى ... كيتى . قطيطتنا العزيزة كما قلت لك آنفا . (يتثاءب) هاه ... هاه ماذا بك يامستر ... يامستر شرتوك ... موسيه شرتوك مستحيل أن أنسى هذا الإسم ولو كنت فى سبات عميق . ألا تصدقنى يامستر شرتوك ؟ أتريد أن أريك إياها ؟

شرتوك : (منفعلا) ترينى ماذا ؟

السكرتير : كيتى ... قطيطتنا العزيزة ... هاه ... هاه .

شرتوك : (ثائراً محتدما) ماذا يهمنى أنا من قطيطتك الملعونة ؟

السكرتير : كلا يا مستر . . . يامستر شرتوك لاتلعنها . . . العن هذه الخزانة إن شئت . أما كيتى فهى عندى غالية جداً . . . دعنى أحدثك عنها قليلا

شرتوك : كلا ... لا أريد أن أسمع عنها شيئا .. إننى ماجئت لهذا .

السكرتير : ولـكنك لعنتها فلا بد أن تسمع عنها شيئا لتغير رأيك فيها .

شرتوك : (يتنهد) آه ...

السكرتير : إننى حين آوى إلى السرير تجىء كيتى فتلحس رأسى بلسانها حتى أنام ثم تأوى هى إلى جنبى .

شرتوك : (كاظما غيظه) هه ثم ماذا بعد ؟

السكرتير : والعجب العجاب أننى وأنا كثير الحركة والتقلب فى نومى ، وهى تنام

لصق ، لم يحدث مرة قط أنني وقعت عليها . فلا أدرى والله هل تبيت يقظى طول الليل أم أن لها إحساسا غريبا يقيها الخطر وهى نائمة. ما رأيك فى تعليل هذه الظاهرة يامستر هاه ... هاه يا مستر شرتوك

شرتوك : (مغيظا يلوح الخبث فى عينيه) أغلب ظنى أنها لاتنام على سريرك !

السكرتير : كلا .. إنى أجدها دائما بجانبي حين أستيقظ فى الصباح .

شرتوك : (بلهجة التشفى) تلحس رأسك حتى تنام فتبرح هى سريرك ثم تعود إليه قبل استيقاظك بقليل !

السكرتير : فأين تبيت طول الليل إذن ؟

شرتوك : من يدرى لعل قطا آخر ينتظرها !

السكرتير : قطا آخر ... ماذا تعنى ؟

شرتوك : أعنى قطاً آخر غير رفيقها الخاص . . أليس لقطتك رفيق خاص ؟

السكرتير : بلى إن لها رفيقا ظريفاً جداً هو قط جيراننا ويدعى جيجو وكثيراً ما يزورها هنا فى المنزل .

شرتوك : وأنت فى المنزل !!

السكرتير : نعم . . ماالمانع ؟ إنه قط ظريف ، وإذا لم نسمح له بالدخول فستخرج كيتى إليه كما فعلت ذات مرة فغابت عنا أياما وليالى لم يهنأ لى فيها نوم لأنى تعودت ألا أنام إلا بعد أن تلحس لى رأسى .

شرتوك : (متذمرا) قد سمعت عن كيتى ما فيه الكفاية فدعنا نتحدث فيما نحن بصدده .

السكرتير : ما زال عندى عن كيتى حديث شائق . . ألا تحب أن تسمعه ؟

شرتوك : لا . لا أرب لى فى سماع أسرارك العائلية .

السكرتير : أجل . . إنا نعتبر كيتى من العائلة . ولكن لا بأس أن أطلعك على أسرارها فما أنت عنا بغريب

شرتوك : أوه . . دعنا فيما جئت من أجله .

السكرتير : (يتثاءب) حسنا . . هاه . . قل يا مستر شرتوك . .

شرتوك : لا حق لك أن تتناعس عند وجودى .

السكرتير : إن كنت تلومنى على هذا فأنت ممن لا يحبون لى خدمة القضية الصهيونية.

شرتوك : عجبا . . أنخدمها بهذا النعاس ؟

السكرتير : نعم .

شرتوك : (غاضبا) أتقول لى هذا بكل صراحة وبكل بساطة ؟

السكرتير : نعم إنى أحب الصراحة والبساطة يا مستر شرتوك . .هاه . . هاه .

شرتوك : وبدون خجل ؟

السكرتير : لو كنت أخدمكم علنا لربما شعرت بشىء من الخجل ، ولكنى سكرتير هيئة الأمم المتحدة رسميا وإن كنت سكرتيركم الأمين فى الحقيقة والواقع.

شرتوك : (يستشيط غضبا) تخدمنا بالنعاس وتتقاضى منا المال كل حين ثم تدّعى أنك سكرتيرنا ؟

السكرتير : ها . . قد التبس عليك معنى كلامى يا مستر . هاه .. هاه

شرتوك : تخدمنا بالنعاس . هذا صريح ليس فيه أى التباس .

السكرتير : إن هذا النعاس الذى تلومنى عليه إن هو إلا نتيجة يوم طويل قضيته فى خدمتكم ، وهو كذلك استجمام ضرورى ليوم طويل أقضيه فى خدمتكم أيضا . فماذا ترى ؟

شرتوك : أردت أن توهمنى بأنك تعبت اليوم فى خدمتنا .. ماذا عملت اليوم ؟

السكرتير : شيئاً كثيراً يامستر شرتوك .. هاه .. هاه .. اتصلت تليفونيا بالرئيس ترومان وبكل ذى خطر يعمل فى مكتبه وأعطيتهم تعلماتى .

شرتوك : بخصوص ماذا ؟

السكرتير : بخصوص أمور كثيرة : تنفيذ التقسيم بالقوة .. إنشاء ميليشيا يهودية .. رفع الحظر عن إرسال الأسلحة إلى يهود فلسطين .. التوكيدات بأن الدول العربية ستخضع للأمر الواقع وبأن المملكة العربية السعودية لن تخل بامتيازات البترول من أجل فلسطين .. هاه ..

شرتوك : وماذا أيضاً ؟

السكرتير : نجحت اليوم في عقد قران المسز روزفلت نهائيا على شيخكم صهيون ! وأنت بالطبع تعرف ما أعني بهذه العبارة .

شرتوك : هذه تميل إلينا من قديم .

السكرتير : الميل شيء والزواج شيء آخر . نعم قد كانت تميل إلى صهيون ولكنها — شأن الأرملة القريبة العهد بوفاة زوجها — كانت تتحشم وتتحرج فما زلت بها حتى أقنعتها بزواج صهيون فهي اليوم زوجته وهو زوجها أمام الله وأمام الناس وأمام التاريخ (يتضاحك) قل لي أليس هذا تعبيراً مجازيا رائعاً يامستر شرتوك ؟

شرتوك : ربما لاينطبق هذا كثيراً على الواقع .

السكرتير : بل ينطبق على الواقع انطباقا تاما وهذا سر قوته وبلاغته . أؤكد لك يامستر شرتوك أنها لولا جلال الذكرى للرئيس الراحل وتعلق الشعب الأمريكي به لسمّت نفسها اليوم المسز صهيون !

شرتوك : هل تتوقع أنها ستضاعف نشاطها في خدمتنا عن ذي قبل ؟ هذا هو المهم .

السكرتير : هذا يتوقف على مدى ماينساله الزوج الجديد من الحظوة عندها والقبول ! (يتضاحك) ولاحيلة لنا فيما بين الزوجين يامستر شرتوك !

شرتوك : وماذا صنعت لنا أيضاً ؟

السكرتير : (يتثاءب) هاه .. هاه .. قابلت صديقي ومواطني المندوب النرويجي فاقترحت عليه أن يلقي محاضرة عن أعمالكم الإنشائية في الأرض المقدسة

شرتوك : وهل قبل ؟

السكرتير : نعم وعدني بذلك ، ولكني وعدته كذلك بأنكم لن تنسوه ، فأرجو ألا تخلوا أنتم بوعدي .

شرتوك : وماذا أيضا ؟ . .

السكرتير : ألا يكفيك أن أقوم بهذا كله فى يوم واحد ؟ ألا ترانى أستحق بعد هذا أن أنعم بنوم لذيذ لأنهض مبكراً من الغد فأتصل بأعضاء مجلس الشيوخ واحداً واحدا ؟ أوه . . . إنك لشديد الطمع قليل الشكر !

شرتوك : كلا يا سيدى .. لايسعنى الآن إلا أن أقدم لك شكرى وشكر الوكالة اليهودية والجمعية الصهيونية العامة .

السكرتير : هذا جميل منكم ولكن الشكر وحده لا يكفينى .. هاه .. هاه ..

شرتوك : عندى لك الليلة سهرة حمراء مدهشة .. فهل لك ..

السكرتير : (بصوت خافت) هس ! لا تسمعك كيتى ! (بصوت مرتفع) إننى لا أسهر يا مستر شرتوك إلا فى بيتى ، فاذا شئتم أن تقيموا لى حفلة تكريم فأعطونى نفقات الحفلة وكفى ، فذلك أحب إلى قلبى وأجلب لرضاى .. هاه .. هاه ..

شرتوك : (ينهض لينصرف) إذن فسأنصرف الآن يا سيدى لتنام .

— ٣ —

فى الهزيع الأخير من الليل — السكرتير نائم على سريره — تدخل الزوجة عليه فتنير المصباح وهى مرتاعة .

الزوجة : (تناديه لتوقظه) لى ! لى ! قم يا لى ! قم !

السكرتير : ماذا تريدين ؟ إنى الليلة متعب .. دعينى فى نومى !

الزوجة : انهض يا رجل ! انظر ماذا جرى لخزانتك الحديد !

السكرتير : (يهب من سريره مذعورا) ما بالها ؟ ماذا جرى ؟

الزوجة : سمعت هناك حساً وحركة وهمساً كهمس الحديث ..

السكرتير : لصوص فى المنزل ! يا للداهية ! (يسرع فيقفل حجرة النوم عليه وعلى زوجته ثم يقصد جهة التليفون) .

الزوجة : ماذا تريد أن تصنع ؟

السكرتير : سأتصل بالبوليس .

الزوجة : لا تفعل .. لا أحد هناك .

السكرتير : هل دخلت الحجرة ؟

الزوجة : نعم .

السكرتير : وفتشت خلف الستائر ؟

الزوجة : نعم .. لا أحد هناك .

السكرتير : (يتناول مسدسه) هلمى إذن معى .. أريني ماذا هناك !

— ٤ —

في الحجرة التي فيها الخزانة الحديد — يقف السكرتير وزوجته أمام الخزانة .

السكرتير : انك يا عزيزتى لكثيرة الأوهام .

الزوجة : كلا ليس ما سمعته بوهم .

السكرتير : هل تأكدت أن الصوت كان من داخل الخزانة ؟

الزوجة : نعم فقد كنت واقفة قريبا منها .

السكرتير : أخشى أن يكون صرصاراً أو جرذا يتلف لى الأوراق المالية (يفتح الخزانة ويبحث فيها ملياً ويقلب أوراقها) لم أجد شيئا يا عزيزتى .. لا ريب أن ما سمعته كان وهماً .

الزوجة : كلا بل كان حقيقة .

السكرتير : ناولينى تلك المضخة . . مضخة الديديتى .

الزوجة : (تناوله المضخة) ماذا تصنع بها ؟

السكرتير : (يرش بها على الخزانة) هذا على سبيل الاحتياط وإن كنت لا أعتقد البتة أن صرصارا أو جرذا يقدر أن يدخل هذه الخزانة المحكمة !

الزوجة : لم أقل لك إنه صرصار أو جرذ ، بل قلت لك إننى سمعت همساً كهمس الحديث .. سمعت كأن أناساً يتحدثون ..

السكرتير : (ينظر إليها مستغرباً ثم يقفل الخزانة ويأخذ بيد زوجته) هلمى يا عزيزتى .. لاشك أنك متعبة .. هلمى استريحى الآن غداً سأعرضك على الطبيب .

الزوجة : ماذا تعنى ؟

السكرتير : لا شيء يا عزيزتى .. هلمى .. هلمى إلى المخدع لننام .

« ستار »

نقود تنتقم !

— ١ —

فى منزل سكرتير هيئة الأمم المتحدة بليك ساكسس .

السكرتير : نقود تتكلم ! هـذه أوهام ياعزيزتى إن لم تطرديها من رأسك فقد تفضى بك إلى ما لا تحمد عقباه .

الزوجـة : تعنى الجنون . . تظننى ممسوسة العقل . . . فارجعنى إذن إلى أهلى بالنرويج فانى لا أطيق البقاء هنا معك !

هو : هل تطوّع لك نفسك ياماري أن تتركينى هنا وحدى ؟

هى : ماذا أصنع إذا كنت تكذبنى وتتهمنى بالخبل والجنون ؟

هو : نقود تتكلم وهى محبوسة فى خزانة الحديد ! هذا غير معقول ياماري .

هى : أحلف لك بالسيد المسيح وبالعذراء لقد سمعتها بأذنى هاتين .

هو : تتوعد بالانتقام منى؟

هى : نعم .

هو : هبى أن ما سمعته كان صحيحاً فما ذنبى عندها حتى تنتقم منى ؟

هى : قلت لك انها نقود عربية وهى تنوى الانتقام منك لمالأتك للصهيونيين

هو : وكيف عرفت أنها نقود عربية ؟

هى : سمعتها وهى تتحاور فيما بينها يدعو بعضها بعضاً ياعراق . يامصرى . ياسورى . . ياسعودى . . يالبنانى . . أليست هذه أسماء عربية ؟

هو : (يضحك) لكى أبرهن لك أن ما سمعته كان وهماً كله يكفى أن أذكرك بأن الخزانة لا تحوى إلا دولارات أمريكية !

هى : يكفى أنها وردت إليك من أيدى العرب .

هو : للعرب فى الهيئة ست دول فقط من سبع وخمسين دولة ، فليس من الجائز أن تكون النقود التى عندى كلها من الدول العربية . فأين نقود الدول الأخرى ؟ لماذا لا تتكلم ؟

هى : لا أدرى . لعلها نائمة أو لعلها عجم لا تنطق ... فما سمعت إلا النقود العربية .

هو : هذه آية فى الغرابة :

هى : ما وجه الغرابة فى ذلك ؟ انها تستنكف أن تكون فى يدك وأنت تتحيز ضد أربابها مع الصهيونيين . وكان على سكرتير هيئة الأمم أن يلتزم العدل والحياد .

هو : أراك تتكلمين بلسانها كما لو كنت وكيلة لها أو محامية !

هى : لقد سمعتها تقول ذلك ولم أزد شيئا من عندى .

هو : كيف يمكنها أن تنتقم منى وهى محبوسة فى الخزانة ؟

هى : لا أدرى ، ولكنى سمعتها تتحدث عن جهازك الهضمى وأنها ستصيبه بخلل وتسبب لك إمساكا شديدا ورياحا تزعجك ولا تخرج من بطنك

هو : وتصدقين أنها تقدر على ذلك ؟

هى : لم لا ؟ إن نقودا تستطيع أن تتكلم على هذا النحو العجيب لتستطيع أن تنتقم بطريقة من الطرق نجهل كنهها .

هو : قلت لى يوما إنك سمعتها تذكر هيئة الأمم المتحدة بسوء .. أتذكرين ما قلته ؟

هى : نعم أذكر كل شىء قالته كأنه محفور فى قلبى

هو : فأعيدى ذلك علىّ

هى : سمعتها تنعت الهيئة بأنها خدعة صهيونية عملت على إنشائها اليهودية العالمية تحت ستار السلام العالمى لتستغل جهود الدول وأموالها فى خدمة مآربها الجهنمية ، وأنها لا تختلف فى ذلك عن هيئة (الأونرا) التى أنشئت باسم إغاثة منكوبى الحرب من جميع الأمم وجمعت الأموال من جميع الدول لهذا الغرض ، ثم اتضح بعد ذلك أنها لم تصرف إلا لليهود بقصد ترحيلهم إلى فلسطين ، وتبين أن بعض هؤلاء كانوا أغنياء وليسوا بحاجة إلى المساعدة ألبتة .

هو : عجباً ما أقوى ذاكرتك ! هذا عين ما رويته لى من قبل . إلا أنك نسيت شيئاً فيما أظن فلم تذكريه .

هى : كلا ما نسيت شيئاً . . . لقد سمعتها تتعجب من انخداع العرب بهذه الهيئة ، وتود لو أنهم ينسحبون منها وينفقون بدل اشتراكهم فيها فى تحسين أحوال بلادهم ورفع مستوى معيشة الطبقات المحرومة فيها وليكتفوا بجامعتهم العربية أو فليدعوا إن شاءوا إلى تكوين هيئة أمم شرقية لا يستحوذ عليها نفوذ اليهود كما يستحوذ على الدول الغربية أليس هذا الذى ظننتنى قد نسيته ؟

هو : بلى يا مارى . . الحق أننى فى حيرة من أمرك .

هى : أما أنا فخائفة عليك .

هو : من انتقام هذه النقود ؟

هى : بالطبع .

هو : (يتضاحك) ما أطيب قلبك يا عزيزتى . اطمئنى فلن يصيبنى أى مكروه . إننى قوى الأعصاب ولا تؤثر فىّ مثل هذه الأوهام .

— ٢ —

فى مستشفى الامراض العقلية

السكرتير يزور المستشفى فيقابل كبير أطبائه على انفراد

الطبيب : خذ زوجتك يا سيدى فليس بها شىء .

السكرتير : كلا يا دكتور . لا أقدر أن آخذها من المستشفى وهى بهذه الحالة .

الطبيب : عجباً لك أتريد أن تبقيها هنا لغير سبب ؟

السكرتير : هل روت لكم قصة الأصوات التى سمعتها من خزانة الحديد ؟

الطبيب : نعم . . روت لنا كل شىء .

السكرتير : وتكون بعد هذا كله سليمة العقل ؟

الطبيب : نعم . . هى سليمة العقل قطعا .

السكرتير : كلا يا دكتور . . لا تقل هذا .

الطبيب : عجباً . . أتريد أن تثبت عليها الجنون بالقوة ؟ ألا يسرك أن تكون نتيجة الفحص سلبية ؟

السكرتير : بلى يا دكتور ، ولكنى أخشى إن صدق زعمها أن أصاب أنا بالمرض

الطبيب : حينئذ نفحصك أنت ونعنى بعلاجك .

السكرتير : كلا . . لن أصاب فى عقلى بل فى جهاز هضمى .

الطبيب : حينئذ تعرض نفسك على طبيب باطنى ليعالجك . وبعد فعلام التفكير فى مرض متخيل لم تصب به بعد ولعله لا يصيبك ألبتة ؟

السكرتير : ما دمتم قد قررتم أن زوجتى سليمة العقل فلا بد أننى سأصاب به.

الطبيب : (ينظر إليه ملياً) أرى من الأفضل أن تتبعنى إلى حجرة الكشف

السكرتير : لأرى زوجتى؟

الطبيب : لا . . بل لأكشف عليك

السكرتير : (مرتاعا) كلا يا دكتور . ليس بى شىء مما تظن !

الطبيب : لا أستطيع أن أطمئن إلى ذلك إلا بعد الكشف .

السكرتير : حذار يا دكتور أن يسمع هذا منك أحد فإنى سكرتير هيئة الأمم المتحدة كما تعلم . وأخشى أن أفقد منصبي هذا إذا شاع فى النـاس أنك فحصت قواى العقلية حتى ولو كانت النتيجة سلبية !

الطبيب : اطمئن .. سأكتم هذا السر .

— ٣ —

فى منزل السكرتير : السكرتير يتقلب على فراشه متألما من مغص ورياح تقرقر فى بطنه وهو يشكو ويتأوه وعنده زوجته تحاول عبثاً أن تخفف عنه .

هو : أواه ! أما لهذا الألم من آخر ؟

هى : سيعودك الطبيب الآن فلعله يعطيك علاجا آخر ؟

هو : قبح الله هؤلاء الأطباء ! ليس عندهم إلا زيت الخروع !

هى : فقل له حين يجيء إن الزيت لم يجدك شيئا .

هو : سيأمرنى بمضاعفة الكمية كما فعل من قبل ، وهو جاهل لا يدرى أن الزيت نفسه يحتبس فى بطنى فيزيد فى عذابى .

هى : لكنك قد شربت البارحة قارورة كاملة منه ، وما أظن هذه الكمية تحتمل الزيادة .

هو : بل سترين هذا الجاهل يأمرنى بمضاعفة الكمية أيضا .. آه .. أشتهى ريحاً ولو صغيرة تخرج منى فترفه قليلا عنى !

هى : لو استمعت لنصيحتى لكنت فى غنى عن هذا الطبيب وغيره .

هو : أوه . ما عندك إلا هذا القول تعيدينه علىّ مرة بعد مرة ؟ كيف تريدين منى أنا سكرتير أعظم هيئة دولية أن أؤمن بمثل هذه الخرافة ؟

هى : لا تقدر اليوم أن تسميها خرافة بعد ما ظهر أثرها فيك !

هو : (غاضبا) والله مانكبنى بهذا غيرك . نقود تتكلم !! نقود تنتقم !
مازلت تحاربين أعصابى بترديد هذه القصة الوهمية حتى أصابنى ماأصابنى
فهل طابت نفسك الآن وقرت عينك ؟ .

هى : أتلومنى الآن على أنى أنذرتك فما استمعت للنذير حتى أصابك
ما أصابك ؟

هو : نعم . لقد كنت السبب ، فلولا نذيرك هذا الشؤوم لما أصابنى شىء .

هى : ماذنبى أنا ؟ الخزانة خزانتك والنقود نقودك وهى التى انتقمت منك !

هو : أجل . أ كدى لى هذه الخرافة . انفثى سمومها فى نفسى حتى يشتد
المرض الذى بى . أنت التى تنتقم منى لا النقود ! .

هى : أنا أنتقم منك ! أتدرى ماذا تقول ؟

هو : نعم . إن كنت مصابا ببطنى فان عقلى بخير فأنا أدرى ما أقول .

هى : (تغالب غضبها) هل لك أن تخبرنى عما عسى أن يدفعنى إلى الانتقام منك ؟

هو : مايدرينى لعل فى عروقك دما عربيا هو الذى يدفعك إلى ذلك ! .

هى : يالها من تصورات عجيبة ! .

هو : ليست هذه بأعجب من تصوراتك الوهمية إذ تزعمين أن نقوداً من
الورق تتكلم وتنتقم وهى محبوسة فى خزانة من الحديد !

هى : لقد سمعت ذلك بأذنى أفأ كذب ما سمعت أذناى ؟

هو : لاشك عندى أن هذا الدم العربى الذى يجرى فى عروقك هو الذى
أوحى إليك هذه القصة الوهمية لتحطم أعصابى انتقاما منى !

هى : عجباً . أوقد صارت قصة الدم العربى حقيقة تؤمن بها وما مضى على
اختراعك لها غير دقيقة واحدة ؟

هو : لم لا ؟ إنك تدافعين دائماً عن العرب وتتحاملين على اليهود

هى : أنت إذن يهودى الدم لأنك تدافع دائماً عن اليهود .

هو : كلا . أنا لا أدافع عنهم مجانا !

هى : وأنا لا أدافع عن العرب مجانا

هو : (مذعورا) ماتقولين ؟ هل اتصل بك أحد منهم ؟

هى : تروَّ فى كلامك يارجل . إنك تعلم أن العرب لايتبعون فى نصر قضيتهم مثل هذه الأساليب اليهودية . !

هو : لـكنك قلت إنك لاتدافعين عنهم مجانا .

هى : نعم . لأنى أفعل ذلك لمصلحتك أنت ولحفظ سمعتك وكرامتك . وأخيراً لتخليصك من هذه النقمة التى حلت بك . إنك لاتؤمن بالله يارجل وإلا لأيقنت أن فى قدرته سبحانه أن يودع فى النقود قوة تنتقم من رجل يخون أمانة أصحابها وهو يعيش من خيرهم !

هو : وأنا أعيش من خير اليهود أيضاً أفلا تخافين أن تنتقم نقودهم منى إذا أنا خنتهم ؟ أليس الله قادراً على أن ينفخ فى نقودهم أيضاً قوته الخفية ؟

هى : أنصحك ألا تذكر الله ساخراً . إن النقود التى تأخذها من اليهود إنما هى رشوة ، والله أعدل من أن يظهر فيها آيته

هو : ياهذه كفى ! لقد احتملت منك فوق ماينبغى أن أحتمل . أما كفاك أن سببت لى هذا المرض حتى توسعينى تعنيفا وتقريعا ! أنسيت أنى سكرتير أعظم هيئة دولية فى العالم وأنك امرأة ساذجة تؤمن بالخرافات والأوهام ؟

(يدق جرس الباب الخارجى)

هى : هذا طبيبك قد جاء ، ولولاه لأسمعتك ردى (تخرج)

هو : آه . كل شىء يحاربنى . حتى زوجتى دسيسة على ! هى السبب فى كل ما أصابنى . آه ! ماهذا الذى يسد بطنى سدا كأنه خزانة حديدية ليس لها مفتاح ! أما من سبيل إلى ريح صغيرة يرفه خروجها عنى ؟

(تعود الزوجة ومعها الطبيب)

الطبيب : (يدنو من سرير المريض) لعلك اليوم أحسن حالا يامسيو تريجفي لي

السكرتير : أبقارورة الخروع التي نصحتني بشربها ؟ إنها احتبست في بطني فزادته انتفاخا وقرقرة !

الطبيب : ألم يلن بطنك ولو قليلا ؟

السكرتير : ولا قطرة !

الطبيب : ولاريح ؟

السكرتير : ولانسمة ! ألا تبصر هذا الانتفاخ ؟ ألا تسمع هذه القرقرة ؟

الطبيب : (يجس بطنه وينقر على مواضع منه) هذه حالة غريبة مارأيت لها شبيها ولا سمعت بمثلها قط . . . هل شربت ياسيدي قارورة الزيت بأكملها ؟

السكرتير : إن كنت تعني القاروة ذاتها فليس في وسعي أن أبلعها !

الطبيب : كلا . إني أعني ماقي القارورة بالطبع .

السكرتير : فقد أفرغته كله في جوفي !

الزوجة : نعم يادكتور.. شربه كله .

الطبيب : إذن فلا بد من مضاعفة الكمية .

السكرتير : أما عندك سوى زيت الخروع ؟ أهذا كل ماتعلمته من الطب ؟

الطبيب : هذا الامساك المستعصي يحتاج إلى مسهل قوي ، ولا يوجد مسهل يمكن تعاطيه بكميات كبيرة دون ضرر إلاهذا الزيت .

السكرتير : فكم قارورة تنصحني أن أشرب ؟ مئة قارورة ؟ ألف قارورة ؟

الطبيب : إن شراءه بالقوارير يكلفك ثمناً باهظاً ، ولكن توجد منه براميل صغيرة فاشرب منه برميلا كل ليلة قبل النوم .

الزوجة : برميلا بأكمله يادكتور !

الطبيب : نعم لاخوف عليه ياسيدتى من ذلك . . من حسن الحظ أن لزوجك بطناً كبيراً يسع البرميل وزيادة ؟

السكرتير : حسنا .. سأشرب البرميل والبرميلين .. إنى لا أطيق هذا العذاب خير لى أن ينفجر بطنى فاستريح !

— ٤ —

أربعة من الأطباء يتداولون الرأى بعد فراغهم من فحص السكرتير

الأول : هذه حالة غريبة .

الثانى : إمساك مستعص لا نظير له .

الثالث : برميل زيت الخروع لو أعطى لفيل لجرف كل ما فى بطنه ولما أبقى فيه شيئا !

الرابع : لو وفقنا إلى تشخيص هذا المرض وعلاجه لفتحنا فتحا جديدا فى عالم الطب .

الأول : يخيل إلىّ وأنا أنظر بالأشعة خلال بطنه كأن لفضلات الطعام عقلا خاصا تتقى به الدواء المسهل بطرق عجيبه ، فهى تلصق بالأمعاء الدقاق وبألياف المعدة لصوقا شديدا حتى يمر المسهل ويخرج ، فتبرز حينئذ من مكانها وتتخمر وتستحيل إلى أهوية وغازات !

الثانى : لقد خطر لى مثل هذا أثناء كشفى عليه بالأشعة .. خيّل إلى أن للطعام الذى فى بطنه إرادة صارمة ، فهو يتشبث بجدران الأمعاء تشبث المستميت .

الأول : حقا إن الطبيعة لملأى بالعجائب .

الثالث : أجل .. ما أقل ما نعلم وأكثر ما نجهل !

الثانى : والآن ماذا ترون فى علاجه أيها السادة ؟

الأول : يستمر فى تعاطى برميل الزيت .

الثالث : نعم .. برميل الزيت لاغير .

الثـــانى : ألا تخشون أن الخروع يبطل أثره بكثرة الاستعمال ؟

الأول : حينئذ يضاعف مقدار مايتعاطاه منه .

— ٥ —

موسيه شرتوك يعود السكرتير فى منزله .

شرتوك : أين نشاطك يامسيو تريجفى لى وأين تصريحاتك ؟ لقد فترت همتك هذه الأيام .

السكرتير : ألا ترى ما أنا فيه ؟ ألا تبصر هذا الانتفاخ وتسمع هذه القرقرة ؟

شرتوك : لو كنت طريح الفراش لعذرناك ، ولكنك تباشر عملك وتغدو وتروح

السكرتير : أتريد منى أن أنقطع عن عملى فيطير منصب السكرتارية منى ؟ ألا تدرى أننى أناضل فى سبيل الاحتفاظ بمنصبى وأضحى بشحن برميل من زيت الخروع كل ليلة ليخفف بعض ما بى من هذا الإمساك وهذه الغازات ؟

شرتوك : ولكن القضية فى خطر ، ومشروع التقسيم فى كفة القدر ، ونحن أحوج ما نكون إلى نشاطك وإذا قضى على المشروع — لا سمح الله — فسيلقى الشعب اليهودى التبعة كلها عليك لتقصيرك .

السكرتير : لم يقع منى أى تقصير فى خدمتكم وإنما كان التقصير منكم أنتم .

شرتوك : أى تقصير ؟ ألسنا نواليك بالهدايا والهبات وإن لم تعمل لنا شيئاً ؟

السكرتير : يجب أن تضاعفوها اليوم فإن براميل الخروع تكلفنى مبالغ طائلة . لقد ارتفع سعره فى هذه الأيام وقل وجوده وأخشى أن يختفى وشيكا من الصيدليات فتكون القاضية علىّ .

شرتوك : هل تعود إلى نشاطك إن ضمنت لك باسم الوكالة اليهودية أن نمونك بكفايتك منه ؟

السكرتير : بالطبع سيفرغ بالى من هم عنه على الأقل .

شرتوك : إذن فثق أننا سنستورد لك باخرة ملأى بالخروع ونضعه كله تحت أمرك تغترف منه كما تشاء .

السكرتير : هذا أقل ما يجب عليكم أن تعملوه من أجلى فى هذه المحنة التى حلت بى (يضع يده على بطنه) آه ! أما لهذا العذاب من آخر ؟

شرتوك : بم تشعر يا مسيو تريجفى لى ؟

السكرتير : كيف أصف لك ألمى ؟ ذلك صعب يا مستر شرتوك . ولكن لا بأس أن ألتمس لك صورة تقربه إلى ذهنك . . دعنى أفكر قليلا .

شرتوك : شكرا يا سيدى . . إنك تعلم مبلغ عطفى عليك وتأثرى لحالك .

السكرتير : هأنذا قد وجدت الصورة . . صورة مناسبة جداً لمقتضى الحال !

شرتوك : كيف ؟

السكرتير : إن بطنى يامستر شرتوك قدأصبح كفلسطين، تدور فى داخلها معارك رهيبة ، وما هذه القراقر إلا صداها المسموع . . والطعام الذى آكله . . أتدرى ما مثله حين يدخل فى جوفى ؟

شرتوك : ما مثله ؟

السكرتير : مثل المهاجرين حين يدخلون فلسطين ، فإذا هم فى معمعان القتال ، تتخطفهم القوات العربية من كل مكان وتعركهم عركا ، فيحاولون الخروج منها ، فيمنعهم إخوانهم الإرهابيون ويسدون عليهم السبل . . أما برميل الخروع الذى أتعاطاه كل ليلة فيرفه قليلا عنى فمثله كمثل القوات البريطانية التى يأتيها الإذن بالانسحاب فتخرج من البلاد زمرة بعد زمرة !

شرتوك : (مشمئزا) هذه صورة بشعة رسمتها لحال اليهود فى فلسطين لا تدل على عطف صادق عليهم .

السكرتير : لاتسىء فهم حديثى يا مستر شرتوك ، فلولا أننى شديد العطف والرثاء لمحنة اليهود فى فلسطين لما ضربتها مثلا للمحنة التى فى بطنى . فكلتاهما تؤلمنى ألما بالغا . آه يا مستر شرتوك إنك لا تدرى أى بلاء أعانى !... ماذا ؟ أتنوى الانصراف ! شكرا لك على زيارتك . . إياك أن تنسى باخرة الخروع !

— ٦ —

في مكتب صراف هيئة الأمم المتحدة — السكرتير يقابل الصراف على انفراد .

الصراف : نقود تنتقم ! هذا مستحيل ياسيدي . . لا شك أن هذا وهم .

السكرتير : لقد كذّبت زوجتي حين حدثتني بذلك من قبل ، وظللت أرميها باللوثة والوهم حتى اضطررت إلى تصديقها آخر الأمر حين أخذت النقود اللعينة تنتقم مني في الدورة الدموية بدلا من الجهاز الهضمي .

الصراف : في الدورة الدموية !

السكرتير : نعم . . . هكذا شخّصها الطبيب وقال إنها حالة غريبة أيضا كالحالة الأولى .

الصراف : ألم يعطك علاجها ؟

السكرتير : بلى ولكني على يقين أن الطب سيعجز عن شفائي منها كما عجز في الحالة الأولى . وإنما في يدك أنت وحدك أن تنقذني :

الصراف : في يدي أنا ؟

السكرتير : نعم فهل لك أن تفعل ؟

الصراف : إن كان ذلك في مستطاعي فإني تحت أمرك .

السكرتير : أكّد لي أنك ستكتم هذا السر .

الصراف : قد وعدتك بذلك فاطمئن يا سيدي من هذه الناحية .

السكرتير : قد يتعبك قليلا ما أطالبه منك وقد يضايقك . ولكن ثق بأنك ستنقذ بذلك حياتي وحياة زوجتي التي كادت تجن .

الصراف : إني مستعد لخدمتك بكل ما في طاقتي ، فقل لي ماذا تريد مني أن أصنع لك ؟

السكرتير : أن تعزل ما يرد إليك من نقود الدول العربية المشتركة في الهيئة حتى لا يتسرب إلى يدي من تلك النقود اللعينة شيء ويكون راتبي الشهري خاليا منها خلوا تاما .

الصراف : هذا غير عسير عليّ غير أني ما زلت أشك في صحة هذا الزعم الغريب .

السكرتير : يا سيدي هبني مجنونا مخبول العقل وهب زوجتي كذلك ، فماذا عليك لو حققت لي هذا المطلب اليسير ؟

الصراف : لكن ماذا أقول للمفتشين إذا رأوني أعزل تلك النقود وحدها ؟

السكرتير : انتحل لهم أي عذر . . . قل لهم مثلا إنك تعزلها لأنها جاءت من بلاد انتشر فيها وباء الكوليرا .

الصراف : ولكن هذا الوباء قد ارتفع .

السكرتير : أوه ! قل لهم إنك تفعل ذلك من باب الاحتياط !

الصراف : حسنا يا سيدي . . سأقول لهم ذلك .

السكرتير : إن كان لي أن أنصحك فلا تأخذ شيئاً من هذه النقود العربية في راتبك ، فإني لا آمن أن يصيبك من شرها ما أصابني !

الصراف : (يضحك) أشكرك على نصيحتك وإن كنت لا أومن بهذه الخرافة .

السكرتير : لا تضحك . . فليس ما أصابني خرافة . هأنذا قد أنذرتك !

الصراف : أشكرك على كل حال .

السكرتير : لا تنس أن تكتم السر عن كل أحد .

الصراف : اطمئن ياسيدي فلو حدثت به أحداً لرماني بالجنون !

« ستار »

الصرح الشامخ

— ١ —

في رقم ١٠ داونبج ستريت . المستر بيفن في مكتبه منكبا على القطع الخشبية المكتوب عليها أسماء ممالك الشرق الأوسط يقلبها بين يديه ويحرك شفتيه بكلام غير مسموع (يقرع باب المكتب)

بيفن : من هناك ؟ أنا مشغول الآن . . انتظر قليلا أو ارجع إليّ بعد قليل .
(يعود إلى الانكباب على عمله) .
(يدخل رئيس الوزارة بهدوء فيراه كذلك) .

اتلي : ماهذا يامستر بيفن ؟ دائما تقلب هذه القطع . . لاشغل لك سواها .

بيفن : أرجو أن تحترم طريقتي في التفكير يامستر اتلي فإن المسئولية كلها ستقع على عاتقي !

اتلي : (يلين لهجته) : لكنك قد أخذت إجازة أسبوع كامل أمضيته في تقليب هذه القطع ، وأخبرتني أنك قد فرغت من وضع المشروع .

بيفن : نعم قد فرغت من ذلك فعلا وإنما أقوم اليوم بالتجربة الأخيرة .

اتلي : فهيا أسرع إذن وانته من هذه التجارب فإن الوفد العراقي سيصل غدا في الصباح !

بيفن : غداً في الصباح !

اتلي : نعم قد طار اليوم من بغداد .

بيفن : (يجمع قطعه وأوراقه ويضعها في محفظته ويأخذ في ارتداء معطفه) .
شكراً ياسيدي . . جئتني اليوم بخبر مفيد .

اتلي : (مستنكراً) اليوم !

يفن : نعم . . اليوم . أم تريد أن أقول غدا أو أمس ؟

اتلى : معذرة . . حسبتك تعنى غير هذا المعنى !

يفن : ماذا الذى خطر ببالك ؟

اتلى : لاداعى لذكره الساعة فقد تبين لى أنك لم تقصده . . قل لى إلى أين أنت ذاهب الآن ؟

يفن : إلى بورتسموث .

اتلى : أما زلت مصراً على أن تجرى المفاوضات هناك ؟ ألاترى أن العاصمة أهيب فى صدورهم وأفخم ؟

يفن : لن نعقدها إلا فى بورتسموث . هذه المدينة التى ثبتت للغارات الألمانية المدمرة فصانت الامبراطورية من الانهيار أجدر بأن يوقع فيها هذا المشروع الذى سيصون الامبراطورية مرة أخرى فى ذلك المركز الحيوى من العالم .

اتلى : حسنا . . لكن فيم الإسراع بالذهاب إليها من الآن ؟ إن لديك متسعاً من الوقت فما إخالك تقابل الوفد العراقى قبل الغد .

يفن : لن أقابلهم إلا فى اليوم الثالث من وصولهم . . يجب أن يعتقدوا أن لدىّ مسائل كثيرة أخرى أهم من مسألتهم .

اتلى : إذن فعلام هذا الإسراع ؟

يفن : لأستعد للأمر .

اتلى : ألم تقل لى إنك قد استعددت من قبل وابرقت لسفيرنا فى العراق فطبخ المسألة مع رجال الحكومة هناك حتى أنضجها ؟

يفن : بلى ، كل ذلك قد وقع ولكن هذا استعداد للاستعداد !

اتلى : هذه عبارة جديدة يامستر يفن لم أسمعها قط من غيرك !

يفن : نحن فى حاجة إلى الابتكار فى مناهجنا السياسية وغيرها ، وإنك — أنت الشاعر — لجدير أن تكون أول من يشجع هذا الاتجاه .

اتلى : لو قرأت أشعارى لعرفت أننى أميل إلى الابتكار ، ولكن يجب مع ذلك أن نحافظ على الاصول المتبعة .

يفن : أنا لا أعرف الشعر فقل فيه ما تشاء ولا حرج . أما السياسة فلا آذن لأحد أن ينتقد اتجاهى فيها ولو بالتلميح ؟

اتلى : (بعد صمت قصير) أتريد أن تغيب عنا هذين اليومين فى بورتسموث؟

يفن : بالطبع .

اتلى : لكننا قد نحتاج فى خلالهما إليك .

يفن : لأى شيء ؟ علينا أن نؤجل كل شيء ونقصر تفكيرنا وجهودنا على هذا المشروع .

اتلى : فقد نحتاج إليك فى شؤون هذا المشروع ذاته

يفن : كلا ، فكل ما عليكم أن تعملوه فى خلال هذين اليومين هو أن تقيموا حفلات التكريم للوفد العراقى وأن تبالغوا فى الترحيب به والحفاوة وما إخالكم بحاجة إلى عونى فى تنظيم هذه الحفلات .

اتلى : هل عندك تعليمات أخرى قبل أن تغادرنا ؟

يفن : إن رأيت أن تنظم قصيدة فى الترحيب بالوفد العراقى فافعل . فقد سمعت أن العرب يحبون قصائد المدح فى حفلاتهم .

اتلى : قد بعد عهدى بالنظم فأخشى ألا أقدر عليه اليوم

يفن : هذا كل ما يطلب منك الآن عمله فإن قمت به فذاك .

اتلى : وإن لم أقم به ؟

يفن : فلا حرج عليك ! (يتأبط محفظته ويتحرك ليخرج) إلى اللقاء يا مستر اتلى ! (يخرج)

اتلى : (واقفا كالمشدوه) إلى اللقاء . . (يحدث نفسه) لا بأس أن أجرب النظم الليلة . . تُرى هل يسعفنى أبولو فيصعد بى إلى جبل الاولمب ؟

— ٢ —

في إحدى دور الحكومة ببورتسموث حيث انقطع الستر بيفن عن مقابلة الناس وليس معه سوى الطبيب النفساني الدكتور بلاكويل

بيفن : (واقفا أمام مرآة كبيرة وبين يديه كومة من اللابس بألوان مختلفة وهو يخلع لونا ويلبس لونا آخر) علام استقر رأيك الآن يا دكتور بلاكويل ؟

بلاكويل : أرى أن ترتدى البذلة السوداء فهى أدل على الحشمة وأبعث للرهبة .

بيفن : لكني لا أريد أن أرهبهم فيتخوفوا مني .

بلاكويل : كلا . . أنا لا أعني الرهبة التي تحدث النفرة والتخوف ، بل أقصد الرهبة التي تحدث الطمأنينة والاستسلام .

بيفن : ألا ترى هذه البذلة الرمادية ذات الخطوط الدقيقة الحمراء أروع وأجمل ؟ إنها أحدث بذلى كلها .

بلاكويل : لو كنت ذاهباً لشهود حفلة رقص لكانت هذه هي الأليق . فهى رائعة حقاً .

بيفن : (يبتسم) أتظنني كنت أستطيع أن اجتذب أنظار الحسان هناك لو ارتديتها ؟

بلاكويل : بالطبع .

بيفن : وأنا في هذه السن ؟

بلاكويل : لم لا ؟

بيفن : وبهذه البدانة والسمن ؟

بلاكويل : نعم . . لن تعدم بينهن من يقاربنك في السن ويشاكلنك في البدانة .

بيفن : (يغيض الابتسام من شفتيه) ويلك .. تعني أولئك العجائز المترهلات!

بلاكويل : لا تغضب ياسيدى فقد قلت : يقاربنك في السن ، وانت في نظرى ما تزال في حدود الشباب المكتمل . أما البدانة والنحافة فالناس في تقديرهما ليسوا على رأى واحد .

يفن : أفى النساء من تعشق البدين ؟

بلاكويل: نعم كما فى الرجال من يعشق البدينة .

يفن : (ينظر فى ساعته) أوه . . . قد أضعت جزءاً كبيراً من وقتى فى هذا الكلام الفارغ . ما لنا ولحديث الرقص والحسان الآن ؟

بلاكويل: أنت ياسيدى الذى طرقت هذا الموضوع .

يفن : والآن أما زلت تفضل البذلة السوداء ؟

بلاكويل: نعم

يفن : على مسئوليتك ؟

بلاكويل: هناك عوامل أخرى للنجاح غير لون البذلة ، فكيف تريد أن تحمّلنى المسئولية ؟

يفن : ما هى ؟

بلاكويل: براعتك السياسية مثلا فهى أساس الأمر كله .

يفن : هذه ليست موضع جدل يادكتور بلاكويل . . هذه مضمونة عند الكل . . موثوق بها كالجنيه الاسترلينى !

بلاكويل: إن كانت كالجنيه الاسترلينى فليست جد مضمونة !

يفن : أعنى كالجنيه الاسترلينى سابقاً . . وكالدولار اليوم .

بلاكويل: ها . . كالدولار . . هذا مضمون مائة فى المائة .

يفن : (مزهوا) أمريكا تعتز بالدولار . . أفتدرى بم تعتز بلادك ؟

بلاكويل: (باستخفاف) بم ياسيدى ؟ أبالاسطول ؟ فالأسطول الأمريكى قد صار أقوى وأعظم !

يفن : بل بشىء آخر .

بلاكويل: أبالاستعمار ؟ فانى أرى أن أمريكا قد نافستنا فيه ، وروسيا لا تقل عنها نشاطاً فى هذا السبيل ، ولكل واحدة منهما أسلوبها الخاص المبتكر .

يفن : ويلك . . إنك تتكلم بسخرية كما لو كنت المستر تشرشل !

بلاكويل: المستر تشرشل ! ما شأنه فى هذا الحديث ؟

يفن : ذاك الشيخ الأحمق لا ينفك يتشدق كل يوم وفى كل مجلس بأن حكومة العمال هى التى أفضت بالامبراطورية إلى هذه الحال من الضعف ، متجاهلا كل الظروف الدولية والأحوال العصيبة التى مرت بهذه البلاد . تُرى فى أى عصر يحسبنا هذا الغبى نعيش ؟

بلاكويل: أؤكد لك ياسيدى أننى لست من رأيه .

يفن : إذن فعلام استعرت لهجته الساخرة ؟

بلاكويل: كلا ياسيدى ما قصدت السخرية قط . وإنما جرنا الحديث إلى الموازنة بين ما تعتز به أمريكا وما تعتز به بلادنا فذكرت أموراً أليمة حقاً ولـكنها حقائق واقعة مع الأسف (يجهش بالبكاء) .

يفن : ماذا بك ؟ أتبكى ؟

بلاكويل: لـكى تعلم أننى كنت مخلصاً فى التعبير عن حزنى وأسفى ، وما كنت بساخر كما زعمت .

يفن : (متأثراً) لا تؤاخذنى يادكتور بلاكويل . لقد شط بى الظن بعيداً إذ توهمت فى كلامك أثراً من نغمة ذاك القلنفع الشاغب .

بلاكويل: (يكفكف دمعه) إنما هزنى التألم لحال بلادى ! .

يفن : لا تبتئس كثيراً فحالنا بعد لا يدعو إلى مثل هذا التشاؤم . ومهما يكن من شىء فقد بقى لبلادك ما تعتز به دون غيرها من الممالك .

بلاكويل: قل لى ياسيدى ما هو ولا تدعنى أذكر أموراً أخرى قد تغضبك منى أيضاً .

يفن : ألا تعرف ما هو ؟ يوجد الآن نموذج منه بين يديك !

بلاكويل: بين يدى ! أفلا تريني أياه .

يفن : (يقهقه) أريك أياه ! هذا محال ما بقيت على قيد الحياة .

بلاكويل: ماذا تعنى ؟

يفن : قد يتاح لك أن تراه بعد موتى إذا أذنت لك الجمعية الطبية البريطانية بذلك ، لأنى قد كتبت فى وصيتى أن يوضع تحت تصرفها .

بلاكويل: كأنك تعنى . . .

يفن : (يشير إلى رأسه) المخ الذى هنا !

بلاكويل: عجبا كيف لم أهتد من تلقاء نفسى إلى هذا الأمر الواضح جداً !

يفن : أجل . هذا غريب بالنسبة لمن هو فى ذكائك وعلمك .

بلاكويل: أدركت الآن سر ذلك . . إن شدة الظهور قد تؤدى أحيانا إلى الخفاء . هذا هو حالى معك .

يفن : فليكن عند أمريكا الدولار والأسطول وما شئت أن نذكره ، ولكن لن يكون عندها مثل هذا المخ أبداً . ألا توافقنى على هذا ؟

بلاكويل: بالتأكيد .

يفن : أفلا تعتقد الآن أن براعتى السياسية مضمونة — على حد تعبيرك — مائة فى المائة ؟

بلاكويل: بل مائتين فى المائة !

يفن : لاتبالغ . . إنى لا أحب المبالغة .

بلاكويل: ما قصدت المبالغة ياسيدى .

يفن : يكفينى مائة فى المائة .

بلاكويل: فليكن ياسيدى ماتريد .

يفن : فهل تقبل الآن أن تتحمل مسئولية اختيار اللون الأسود فما يقدر لى من النجاح أو الاخفاق ؟

بلاكويل: ما تزال هناك عوامل أخرى ياسيدى غير البراعة السياسية ولون البذلة

يفن : فاذكرها لى لنجتهد فى توفيرها جميعاً .

بلاكويل: ملامح الوجه مثلا فان لها أثرها فى قوة الاقناع .

بيفن : هذا صحيح ... كيف فاتتى هذه النقطة الهامة ؟

بلاكويل: وكذلك نغمة الصوت ، وإيماءات اليد ، وكيفية الابتسام ، والجلسة التى تجلسها على كرسيك ... كل أولئك له أثر كبير فى استدراج الخصم إلى الايمان برأيك والثقة بصواب منطقك .

بيفن : بوركت يادكتور ، لقد أدركت الآن انى كنت ملهما إذ اصطحبتك معى للاستعانة بعلمك . حقا إن علم النفس لكبير النفع فى ميدان السياسة

بلاكويل: فى كل ميدان من ميادين الحياة

بيفن : كيف نسيت أن تذكرنى بهذه الأشياء من قبل ؟ فقد أضعنا وقتاً طويلا فى اختيار لون البذلة

بلاكويل: ما نسيتها ياسيدى وانما آثرت أن نتناولها نقطة نقطة .

بيفن : فهيا إذن أسرع فالوقت ثمين ، ولا بد من الاستعداد التام فان بين رجال وفد العراق داهية لا يستهان به ... عميق الغور جداً !

بلاكويل: (يهتز طربا) الآن فهمت لماذا أطلقوا عليه لقب « قبر » ... قد راجعت هذه الكلمة فى القاموس العربى الانجليزى فعرفت معناها ... أنه عميق الغور كالقبر !

بيفن : ذاك رئيس الوزراء وليس هو الذى أعنيه .

بلاكويل: فمن تعنى ؟

بيفن : صاحب الكتاب الأزرق .

بلاكويل: قد عرفته ! ذى هابى جبسى باشا !

بيفن : ما تقول ويلك ؟ إن اسمه نورى السعيد باشا

بلاكويل: نعم ... نعم ... ذى هابى جبسى باشا . هذا معنى اسمه عندهم

بيفن : عجباً ... كأنك تعرف اللغة العربية يادكتور بلاكويل ؟

بلاكويل: أعرفها شيئاً ما ... ليس إلى حد الاتقان طبعاً .

بيفن : (تبدو عليه علائم التفكير) ذى هابى جبسى ... تُرى لماذا سموه هكذا ؟

بلاكويل: من السهل تعليل ذلك ياسيدى .

بيفن : كيف ؟

بلاكويل: ألم تقرأ ما كتبه (بورو) عن هؤلاء القوم ؟

بيفن : عن العرب ؟

بلاكويل: لا ياسيدى بل عن (الجبسيس)

بيفن : من (بورو) هذا ؟

بلاكويل: بورو ... جورج بورو ... أحد مشاهير كتابنا فى القرن التاسع عشر وهو يمتاز بأسلوب خاص فى الكتابة ... وقد كتب ...

بيفن : (نافذ الصبر) مهلا يادكتور بلاكويل ... لا تسرد لى تاريخ حياة هذا الشقى ... فقد عرفت أنه كاتب وكفى !

بلاكويل: كان ينبغى ياسيدى أن تقرأ له ولو كتابا واحدا !

بيفن : إن وقتى ثمين لا أضيعه فى مثل هذه التوافه ! فقل لى ماذا كتب صاحبك هذا عن الجبسيس ؟

بلاكويل: صوّر كثيراً من مكرهم وحيلهم فى كتبه . لعلك فهمت الآن لماذا أطلق هذا الاسم على صاحب الكتاب الأزرق .

بيفن : إنك رجل مدهش حقا يادكتور بلاكويل !

بلاكويل: ليس فى هذا ما يدعو إلى الدهش ياسيدى فان العلم الذى تخصصت فيه يقتضى الالمام بأصول اللغات لاتصالها الوثيق بدراسة نفسيات الشعوب.

بيفن : (ينظر فى ساعته) أوه ... ضاع علينا ربع ساعة فى هذا العبث !

بلاكويل: ليس هذا عبثاً ياسيدى . إنه بحث سيكولوجى فيلولوجى سوشيولوجى ممتع !

بيفن : (متضايقا) دعنى من جبجباتك هذه ... ما لى ولهذه الكلمات التى لا معنى لها إلا فى أدمغة الفارغين أمثالك ؟ إن وقتى ثمين وأمامى صراع عنيف مع ذى هابى جبسى باشا الذى قد فرغ — لا شك — من استعداداته كلها لمنازلتى !

بلاكويل: (متلطفا) لا يخيفنك أمره ما دام هذا المخ الذى تعتز به الامبراطورية كلها فى رأسك !

يفن : (يلين لهجته) هذا حق ولـكن لا بد من الاستعداد على كل حال .

بلاكويل: ها هوذا الاستعداد جاريا على قدم وساق .

يفن : ما إخال ذى هابى جبسى إلا قد فرغ الآن من اختيار البذلة وملامح الوجه وكيفية الابتسام الخ ... الخ ... بينما أنا لم أنجز حتى الساعة سوى اختيار لون البذلة !

بلاكويل: ما يزال أمامنا متسع من الوقت ياسيدى

يفن : كلا ... كلا ... يجب الاسراع .

بلاكويل: حسناً ياسيدى ... انظر وجهك فى المرآة .

يفن : هـــه ...

بلاكويل: قطّب وجهك قليلا

يفن : هكذا ؟

بلاكويل: لا ليس هكذا ... هذا عبوس يدعو إلى السخرية والضحك ... جرّب تقطيبا آخر .

يفن : هكذا ؟

بلاكويل: هذا ألعن وأضل سبيلا ... إنه يبعث النفور والاشمئزاز !

يفن : ويلك ... قل لى كيف أفعل ؟

بلاكويل: اقرن حاجبيك قليلا .

يفن : كذا ؟

بلاكويل: نعم ... لـكن لا تعض شفتيك هكذا كأنك تريد أن تذبحهم !

يفن : فهل أفتحهما هكذا ؟

بلاكويل: كلا لا تفتح فمك هكذا كما يفعل الأبله المعتوه ! أطبق شفتيك ولـكن بدون زم ولا عض !

يفن : هكذا ؟

بلاكويل: نعم هكذا ... لكن أصلح عينيك

يفن : (يكظم غيظه) كيف أصلحهما ويلك ؟ ماذا بهما ؟

بلاكويل: نظرتهما هذه توحى بالقسوة والخبث . .

يفن : ما الحيلة ؟ هل أسترهما بنظارة سوداء؟

بلاكويل: كلا يجب أن يروا عينيك فهما مرآة الضمير . . يجب أن يروهما بجدولين صافيين يترقرق فيهما الطيبة والوداعة !

يفن : هكذا ؟

بلاكويل: لا . . اجعلهما كالجدولين الصافيين .

يفن : (يبذل جهدا كبيرا فى تفتيح عينيه) هكذا ؟

بلاكويل: لا يا سيدى . . أين الجدولان الصافيان ؟

يفن : (منفعلا) ما بقى إلا أن أركب فى نظارتى صنبورى ماء !

بلاكويل: (يقهقه ضاحكا) هى هى هى هى يا مستر يفن . .

يفن : (مزمجرا) أتضحك منى يا بلاكويل ! أتسخر بى ؟

بلاكويل: معاذ الله يا سيدى وإنما أضحكتنى النكتة (يغالب ضحكه)

يفن : ما هذا وقت التنكيت ولا أقبل أن أكون موضعا له !

بلاكويل: (يغالب الضحك) معذرة يا سيدى . . ظننتك تريد إضحاكى !

يفن : (بغضب وصرامة) عذر أقبح من الذنب !

بلاكويل: (يتكلف الجد والاهتمام) حسنا يا سيدى لنعد إلى ما كنا بصدده .. قرن الحاجبين ، إطباق الشفتين

يفن : هكذا ؟

بلاكويل: برافو ! . . . بقيت مشكلة العينين . افتحهما قليلا ... انظر كما لو كنت تحلم بشىء جميل

يفن : بأى شىء ؟

بلاكويل: تخيّل صورا جميلة : امرأة حسناء ... روضة غناء ... سماء صافية زرقاء ...

يفن : هكذا ؟

بلاكويل: إي والله هكذا ! ها هما الجدولان الصافيان يفيضان بالوداعة والحنان !

يفن : (يبتسم) هذا شعر يادكتور بلاكويل ... أما إنك لشاعر أيضاً !

بلاكويل: كلا ياسيدي لا أجرؤ أن أدعى هذه الصفة

يفن : أراهن على أن شعرك هذا خير من شعر المستر أتلى ألف مرة !

بلاكويل: ابق مبتسما هكذا ... هذه هي الابتسامة المطلوبة !

يفن : (جذلان فرحا) أتقول الحق يادكتور بلاكويل ؟

بلاكويل: نعم .

يفن : هذه ابتسامتي دائماً .

بلاكويل: إذن قد انتهينا أيضاً من أمر الابتسامة .

يفن : (بصوت منغم) لكن إياك أن تخدعني يادكتور بلاكويل !

بلاكويل: (هاتفا) الله ! ! وهذه النغمة المطلوبة أيضاً ... هذه النغمة المبحوحة الرقيقة المتناسقة ! هل تستطيع أن تلتزمها ياسيدى فى حديثك ؟

يفن : (يشير بيده إشارة متئدة) هذا سهل جداً علىّ .

بلاكويل: (يتمايل طربا) الله ! ما أجمل هذه الاشارة الموزونة المعبّرة !

يفن : (يعيد حركة يده كالمرة الأولى) هكذا ؟

بلاكويل: هذا توفيق عجيب . ما بقى أمامنا غير اختيار الجلسة .

يفن : (يسحب كرسيا ليجلس عليه) علّمنى الآن كيف أجلس .

بلاكويل: كلا ... لا يصلح هذا الكرسى القصير ... يجب أن يكون كرسيك عاليا بحيث يكون مستوى عينيك أعلى من مستوى عيونهم ... إن لذلك أثراً كبيراً فى ضمان انتصارك عليهم .

يفن : حسّبُرنى يادكتور بلاكويل هل تضمن لى النجاح والانتصار إذا ما استكملت هذه الأمور كلها ؟

بلاكويل: نعم ... أضمن لك الانتصار الساحق !

يفن : شكراً ياعزيزى بلاكويل لقد أنعشتنى وزدتنى يقيناً بالنجاح ... ان تدق (بيج بن) الليلة تساحتى ينتشر فى الدنيا كلها نبأ توقيع معاهدة بورتسموث !

بلاكويل: أجل ... أجل ... هذا مؤكد .

يفن : هذه معاهدة لها مابعدها ياعزيزى بلاكويل .. أتدرى ماذا يتلوها ؟

بلاكويل: ماذا ياسيدى ؟

يفن : سيرتفع على أساسها ذلك الصرح الشامخ ... صرح الدفاع المشترك بيننا وبين جميع دول الشرق الأوسط .

بلاكويل: هذا عظيم ياسيدى

يفن : وسيذكر التاريخ غداً هاتين اليدين اللتين بنتا ذلك الصرح !

بلاكويل: بل سيذكر قبلهما هذا المخ الجبار الذى ستحفظه الجمعية الطبية أثراً خالداً للأجيال القادمة !

يفن : صدقت ... لولاه ما بنت اليدان شيئاً . هيا ياعزيزى بلاكويل أرنى كيف ينبغى لى أن أجلس .

بلاكويل: (يدير طرفه فى أنحاء الحجرة) ألا يوجد هنا كرسى أعلى من هذه الكراسى القصيرة ؟

يفن : جميع الكراسى هنا على ارتفاع واحد .

بلاكويل: (يمسك الكرسى) إذن فاجلس هنا على حافة المسند .

يفن : على حافة مسند الكرسى ؟

بلاكويل: نعم .

يفن : أخشى أن يميل بى فأقع على الأرض .

بلاكويل: كلا لا تخف . إنى ممسكه من خلفك .

يفن : (يعتلى الكرسى فيجلس على حافة مسنده) هكذا ؟

بلاكويل: نعم ... فابق الآن هكذا ... سأجلس أنا على كرسى أمامك .

يفن : كلا لا تتركنى ... ابق ممسكا بى .

بلاكويل: احفظ توازنك ... لا خوف عليك البتة (يجلس على كرسى أمام الستر يفن) أنت أعلى منى الآن .

يفن : (يترنح فوق مقعده) أدركنى ... إنى سأقع !

بلاكويل: كلا لن تقع إلا إذا أردت أنت الوقوع .

يفن : أنا لا أريد الوقوع ولكنى سأقع

بلاكويل: هذا ياسيدى علميا غير صحيح . أما شهدت قط بهلوانا يمشى على حبل معلّق ؟ إنما يحفظه من السقوط إرادته ألا يسقط .

يفن : من قال لك إننى بهلوان ؟

بلاكويل: لا فرق ياسيدى بينك وبينه ! اعتدل قليلا فى جلستك ... ارفع عنقك ... ضع رجلا على رجل ... لا تخف .

يفن : (يرتجف) هكذا ؟ (يختل توازنه فيسقط على ظهره)

بلاكويل: (قبل السقوط) نعم هكذا .

(بعد السقوط) لا لا ... ليس هكذا ! .

« ستار »

نشيد المارسيليز

— ١ —

(فى منزل النائب الفرنسى المسيو مارماريه)

(تبدو مدام مارماريه جالسة أمام مرآتها تتزين — يدخل المسيو مارماريه)

مارماريه : صباح الخير يامرغريت !

مرغريت : ويلك ياجان ، أتقتحم الحجرة هكذا بدون استئذان ؟

مرغريت : لا تؤاخذيني ياحبيبى .. انى عن كل هذا فى شغل .

مارماريه : (تلحظ المسدس فى يده) وفى يدك المسدس ! ماذا كنت تتوقع أن تجد عندى فى المخدع ؟ عشيقاً ؟ أما لغيرتك القذرة من آخر ؟

مارماريه : يامرغريت إنما جئت لأخبرك بانى خارج الآن فلا تنتظرينى على الغداء .

مرغريت : تُرى من هى العشيقة التى تريد أن تتغدى معها اليوم ؟

مارماريه : أأذهب إلى العشيقة بمسدسى ؟

مرغريت : لعل لك منافساً عليها تريد قتله ؟

مارماريه : (يتنهد) ياليتنى أستطيع قتله ؟

مرغريت : من هو ؟

مارماريه : دى موتان

مرغريت : (تتضاحك) أما زلت تظن أن لى به علاقة ؟ قلت لك ألف مرة إنى قد قطعت صلاتى به من عهد بعيد .

مارماريه : ما أقصد هذا يامرغريت . الأمر أجل من ذلك وأخطر . ألم تعلمى بما حدث مساء أمس فى مجلس النواب ؟

مرغريت : ما قرأت الصحف اليوم ، فماذا حدث ؟

مارماريه : لطمني النذل في المجلس .

مرغريت : لطمك ! أما إنه لشرس ، وهل تركته دون أن تثأر منه ؟.

مارماريه : دعوته للمبارزة .

مرغريت : فلبى الدعوة ؟

مارماريه : نعم .

مرغريت : ياويلى .. أتريد أن تجعلني أرملة وأنا في هذه السن بعد ؟

مارماريه : ما كان أمامى من سبيل آخر لغسل الاهانة .

مرغريت : لم لم تخبرني بهذا قبل الآن ؟

مارماريه : لو كنت البارحة هنا لأخبرتك. أنسيت أنك بت البارحة عند والدتك

مرغريت : عند والدتى ؟

مارماريه : عجباً . ألست البارحة عند والدتك ؟

مرغريت : (مرتبكة) : بلى ياعزيزى ولكن ..

مارماريه : (فى شىء من الحدة) لكن ماذا ؟

مرغريت : كان عليك أن تأتيني هناك وتخبرني بهذا الحادث الخطير .

مارماريه : (يسرى عنه قليلا) لم أشأ أن أزعجك وأزعج والدتك بالليل .

مرغريت : لكنه أمر خطير لاحق لك أن تؤجل إخبارنا به ولو أزعجتنا من نومنا .

مارماريه : أشكرك يامرغريت على لطف شعورك ، ولكن نفسى لم تطوع لى أن أزعجك من نومك بأى حال .

مرغريت : هذا حسن منك ياحبيبي . أفلا يعز عليك أن تمرّ منني للترمل الآن ؟

مارماريه : لا تخافى يا حبيبتى ، فإنى أرجو أن أنتصر على هذا النذل .

مرغريت : وإذا انتصر عليك ؟

مارماريه : كان ذلك من سوء حظى .

مرغريت : فأنا لا أنيط مستقبلي بانتصار غير مضمون .

مارماريه : إن قلبي يعدني أني سأقهره وسيكون ذلك خير جزاء لي على هذه المغامرة ، إذ أتخلص من هذا الوغد الذي طالما اشتاقت نفسي إلى قتله

مرغريت : هذا شعورك أنت ، وعليك أن تعتبر شعوري أنا أيضاً .

مارماريه : ماذا تعنين ؟

مرغريت : معقول أن تكره من يعشق زوجتك ولكن ليس بمعقول أن أكره من يعشقني .

مارماريه : (مغضبا) إذن فأنت تحبينه وتخافين عليه مني .

مرغريت : كلا لا أحبه ولا أخاف عليه منك ، بيد أني لست أحمل له من الكراهية ما يجعلني أغامر بمستقبلي في سبيل التخلص منه كما تفعل أنت . فافهم هذا التحليل البسيط ولا تضطرني إلى أن أرميك بالغباوة

مارماريه : فماذا أصنع الآن ؟ أتريدين مني أن أعتذر له عن المبارزة فيعيّرني أمام الناس بالجبن ؟

مرغريت : حاشاي أن أرضى أن يرمى الناس زوجي بالجبن ، ولكن دع هذا الأمر لي فسأسويه لك .

مارماريه : كيف ؟

مرغريت : (تقوم من مقعدها أمام المزيان ، وتفتح صوان ملابسها لترتدي لها فستانا) سأذهب الآن إلى دي موتان وأحمله على الاعتذار عن المبارزة .

مارماريه : تذهبين أنت إليه ! لا يا مرغريت ... لأن يقتلني هو أهون عندي من ذلك .

مرغريت : لا شأن لي بما تحب وما تكره . إن لي مطلق الحرية في اتخاذ الوسيلة التي تكفل لي سلامة زوجي .

مارماريه : لكن هذه وسيلة شائنة . ماذا يقول الناس عني ؟

مرغريت : اطمئن ياحبيبي . فسأتصل بهعلى انفراد ، ولن يعلم أحد بهذه الزيارة

مارماريه : مثل هذا لا يمكن أن يخفى يا مرغريت .

مرغريت : إنه يقيم وحده في المنزل .

مارماريه : يقيم وحده ! إذن لا أدعك تذهبين إليه وهو يقيم وحده .

مرغريت : عجباً لك أما تحب أن يكتم هذا السر عن الناس ؟

مارماريه : لا بل دعي الناس جميعا يعلمون . . قابليه في النادى أو البار .

مرغريت : إن كنت لاتبالى أن يرميك الناس بالجبن فإنى لاأرضى ذلك لزوجى ، فدعنى أتصرف كما يحلو لى .

مارماريه : لكن . . .

مرغريت : كفى اعتراضا ومجادلة . لقد قررت رأيى ولا حاجة بى إلى مشورتك .

مارماريه : سيكون ذلك على مسئوليتك

مرغريت : نعم على مسئوليتى (تنظر النظرة الأخيرة فى المرآة وقد أتمت زينتها) انتظر هنا ولا تغادر المنزل حتى أعود إليك . أورفوار شيرى (تخرج)

مارماريه : (يقف أمام المرآة وحده)قد تكون هذه تضحية قاسية . . ولكن من يدرى لعله يقتلنى فى المبارزة فيستولى على مرغريت . فهذا أهون الشرين على كل حال . . مسكينة مرغريت . إنها تحبنى !

— ٣ —

(فى مكتب وزير المستعمرات الفرنسية بباريس)

الحاجب : مسيو مارماريه ومسيو دى موتان .

الوزير : دعهما يتفضلا . (يخرج الحاجب)

الوزير : ماذا عساى أن أقول لهؤلاء الجبناء الذين أوشكوا أن يضيعوا هيبة فرنسا ؟

(يدخل مارماريه ودى موتان)

الرجلان : صباح الخير يا معالى الوزير .

الوزير : صباح الخير . . . تفضلا .

الرجلان : (يجلسان أمام مكتبه) ها نحن أولاء قد جئنا تلبية لدعوتك .

الوزير : أهلا بكما . . ما هذا الذى بلغنى عنكما ؟ أصحيح أنكما ألغيتما المبارزة؟

دى موتان : نعم يا معالى الوزير .

الوزير : ما الذى دعاكما إلى ذلك ؟ ألم تعلما أن عدولكما عن المبارزة بعد إعلانها سيكون له أثر سيء على سمعة فرنسا ؟

مارماريه . على سمعة فرنسا ؟

الوزير : نعم . . سيكون سببا لضياع هيبتها من صدور المغاربة والفيتناميين والمدغشقريين وغيرهم من أهالى المستعمرات .

دى موتان : وماذا يدرى أهالى المستعمرات بحادث شخصى قليل الأهمية كحادث مبارزتنا التى ألغيناها ؟

الوزير : أنسيتما أن الصحافة عندنا حرة تنشر من الأخبار ما تشاء وتتناول من الشؤون الخاصة والعامة ما تريد دون ما رقيب ؟ ياليت هؤلاء الصحفيين يعلمون أن كثيراً مما تخطه أقلامهم يسبب لنا متاعب كثيرة فى مستعمراتنا ، ويقلل من هيبتنا فى صدور أهلها ، فيكفوا عن كتابة ما لايحسن وقعه فى صدور هؤلاء .

مارماريه : لايمكن تقييد الصحافة فى بلادنا طبعا .

الوزير : ولايجوز إطلاع أهالى المستعمرات على كل ما يجرى فى بلادنا ، وإلا احتقرونا ، وقوى اعتقادهم فى إمكان التخلص من سيطرتنا .

دى موتان : فى وسعكم أن تمنعوا وصول هذه الصحف الحرة إلى المستعمرات ولاتأذنوا بدخولها إلا لصحف معينة .

الوزير : هذا ما تجرى عليه سياستنا فعلا ، بيد أن رجال الصحافة عندنا لايعدمون حيلا جهنمية لتسريب صحفهم إلى تلك البلاد طمعا

فى الرواج — لقد استطعنا أن نمنع وصول الصحف والكتب العربية من مصر والشام إلى بلاد المغرب ، ولكنا مع الأسف لم نستطع منع الصحف الفرنسية من دخول تلك البلاد وغيرها من المستعمرات .

مارماريه : ماذا يهم أهالى المستعمرات من نبأ فردى تافه كنبأ مبارزتنا أو إلغائها ؟

الوزير : إنك لا تعرف نفسية أولئك العبيد . إن من أشهى الأمور إلى نفوسهم أن يتسقطوا أنباء الفضائح الخلقية والاجتماعية التى تحدث فى فرنسا ، إذ يجدون فيها ما يؤكد لهم أن الفرنسيين ماهم إلا بشر مثلهم . تصوروا كم يكون فرحهم حين يسمعون أن نائبين فرنسيين قد جبنا عن النزال وعدلا عن المبارزة بعد ما اتفقا عليها على رؤوس الأشهاد !

مارماريه : سيقولون إنهما تصافيا بعد الخصام وكفى .

الوزير : كان فى الامكان أن يقولوا هذا فيما مضى حين كانت هيبة فرنسا تملأ صدورهم . أما اليوم فهذه فيتنام تصلينا ناراً حامية ، وهذه بلاد المغرب تتحفز أقطارها الثلاثة للثورة العامة مولية وجهها شطر الجامعة العربية .. حتى مدغشقر تجرؤ على أن تحدث نفسها بالاستقلال ! إن هؤلاء لن يتخذوا عدولكما عن المبارزة إلا برهانا على ما شاع عندهم من غلبة الجبن والخور على نفوسنا منذ سقطت بلادنا فى أيدى الألمان .

دى موتان : فماذا تريد منا أن نصنع الآن ؟

الوزير : عليكما أن تجريا المبارزة فى أوانها المحدد .

دى موتان : أنعرّض أنفسنا للموت المحقق من أجل خوف موهوم على سمعة فرنسا ؟

مارماريه : أما من سبيل آخر غير هذا لتثبيت هيبة فرنسا ؟

الوزير : بلى هناك سبل أخرى كثيرة سنسلكها جميعا ولكنها لاتغنينا عن هذا السبيل .

دى موتان : هب أن الاتفاق على المبارزة لم يقع البتة .

الوزير : ولكنه وقع مع الأسف وأعلنته الصحف العالمية .

مارماريه : هب أن دى موتان ما صفعنى فى مجلس النواب .

الوزير : ولكن الواقع أنه صفعك .

دى موتان : هب أنه ما دعانى إلى المبارزة حين صفعته .

الوزير : ولكنه دعاك !

مارماريه : هب أنه اعتذر عن التلبية حين دعوته للمبارزة .

الوزير : إن شيئا من هذا لم يقع ، بل الواقع أنه لباك إليها ولم يعتذر .

دى موتان : إننا قد تصافينا بعد الخصام فلم يعد لاستئناف المبارزة بيننا أى معنى

الوزير : قد يكون هذا صحيحا فيما يختص بكما . أما فيما يتعلق بوطنكما فلا . إنى والله لا أدرى ما سر هـــذا التشدد منكما فى الامتناع بعد ما شرحت لكما الأسباب . هل لى أن أكلك يا مسيو دى موتان على انفراد ؟

مارماريه : « ينهض واقفاً » كأنك تريد منى أن أنصرف .

الوزير : لا يا مسيو مارماريه ، بل انتظرنى فى الغرفة الأخرى إذا شئت ، لأنى أريد أن أتحدث إليك أيضا .

مارماريه : بكل سرور .

الوزير : شكراً يا مسيو مارماريه (يخرج مارماريه) .

الوزير : قل لى يا مسيودى موتان ما الذى دعاك إلى هذا التصلب والتشدد ؟ بحياتك اشرح لى جلية الأمر .

دى موتان : هل تعدنى بكتمان السر ؟

الوزير : أقسم لك بذلك .

دي موتان : إن مدام مارماريه زارتني في بيتي وتوسلت إليّ بكل ماعلك ،فوعدتها بإلغاء المبارزة . وإني أخشى غضبها إذا أنا رجعت في وعدي .

الوزير : ماذا يهمك غضبها ؟

دي موتان : إنها تعز عليّ كثيراً .

الوزير : ماذا . . أتحبها ؟

دي موتان : حباً جماً ، وهذه فرصة أتيحت لي للمواصلة فلن أضيّعها أبداً .

الوزير : أدركت الآن

دي موتان : لاشك أنك تقدر شعوري .

الوزير : طبعا . طبعا . أتحسبني بليد الإحساس ؟

دي موتان : معاذ الله . إنك — ما علمت — لأرق الناس شعورا .

الوزير : (يتضاحك) قل لي أهي جميلة جداً ؟

دي موتان : أهي جميلة جدا ! هذه إهانة لمرغريت واتّهام للذوق .

الوزير : أهذا اسم مدام مارماريه ؟

دي موتان : نعم . أتريد اسما أعذب من هذا ؟

الوزير : بربك صفها لي .

دي موتان : صفها ؟ كيف أصفها ؟ إنها الجمال كله يخطر في فستان . . إنها .. لا لا أزيد على هذا . أخشى أن تدفعني دفعا إلى الموت ليخلو لك الجو !

الوزير : ما أظن مارماريه يغلبك في المبارزة .

دي موتان : من يدري ؟ إن المنايا حظوظ .

الوزير : هل لك الآن أن تدعو لي زوج مرغريت وتنتظر أنت مكانه ؟

دي موتان : (ينهض) بكل سرور (يخرج) .

الوزير : عجبا لي . كيف لا أعرف مدام مارماريه إلى اليوم . لقد ذهبت أيامك يا دون جوان ! !

(يدخل مارماريه فيجلس)

الوزير : لقد شرح لى المسيودى موتان كل شيء .

مارماريه : ويل للنذل !

الوزير : لا لا تغضب يامسيومارماريه فقد أقسمت له لأكتمن السر .

مارماريه : فماذا تريد منى إذن ؟

الوزير : ألا ترى أن الأولى بك أن تبارزه فتتخلص منه ؟ هذه فرصة أتيح لك فيها أن تقتله دون أن تدينك العدالة. فما يمنعك من اغتنامها ؟

مارماريه : إنى أعلم أنه لا يمكن أن يقبل شفاعة زوجي إلا بثمن

الوزير : فسيعفيها استئناف المبارزة من دفع الثمن ؟

مارماريه : ما يدريني ألا يكون قد قبض الثمن ؟

الوزير : ما أحسبها من السذاجة بحيث تعطيه الثمن قبل تسلّم البضاعة .

مارماريه : وأخشى أيضا أن أصاب أنا فى المبارزة فيستولى الوغد على زوجتى غنيمة باردة .

الوزير : هذه مشكلة لا ندرى كيف نحلها (يطرق مفكراً) .

مارماريه : إن ما اتفقنا عليه من إلغاء المبارزة هو الحل الوحيد .

الوزير : ولكن فرنسا . . فكّر فى أمك فرنسا . لابد من إنقاذ سمعتها المهددة .

مارماريه : لا خوف على فرنسا .

الوزير : (مقاطعا) صه . هأنذا قد خطرت لى فكرة .

مارماريه : ما هى ؟

الوزير : قم فادع لى المسيو دى موتان .

(يخرج مارماريه)

الوزير : (يمر أصابعه على جبهته) هذا حل مدهش . فكرة بارعة . حقاً إنى لحلاّل المعضلات !

(يدخل مارماريه ودى موتان)

الوزير : لقد فكرت فى مشكلتكما فاهتديت إلى حل يوفق بين رغبتكما الخاصة ورغبتنا فى إنقاذ سمعة فرنسا .

دى موتان : هذا جميل .

الوزير : ستجرى المبارزة فى أوانها المعلوم

مارماريه : كلا لن يكون هذا حلا للمشكلة .

دى موتان : هذا ما كنا عنه نحيد .

الوزير : لا تعجلا بالاعتراض . لن تقوما أنتما بالمبارزة .

مارماريه . فمن ذا يقوم بها ؟

الوزير : سنكلف بالقيام بها جنديين ماونين أحدهما مغربى والآخر هند صينى على أن يدعى أحدهما مارماريه والآخر دى موتان ، فمن قتل منهما فعلى سميه أن يتوارى من مسرح الحياة فى باريس وينتحل اسماً آخر فى إحدى قرى الريف حتى ينسى الناس أمره بعد عشرة أعوام أو نحوها ، وحينئذ يجوز له الرجوع إلى باريس .

مارماريه : هذه فكرة مدهشة !

دى موتان : مدهشة حقا يستحق عليها معالى الوزير حفلة نشرب فيها نخب صحته وتوقد ذهنه ورقة شعوره !

مار ماريه : حقاً إنه لجدير بأن نقيم له حفلة .

الوزير : شكراً لكما .. بل اسمحا لى أن أدعوكما الليلة للعشاء فى الامباسادير اعترافا لكما بفضل الموافقة على هذا الحل الذى سينقذ سمعة فرنسا فما رأيكما ؟ .

دى موتان : هذه دعوة لا نستطيع رفضها .

مار ماريه : لا يسعنا إلا القبول يا معالى الوزير .

الوزير : ألا تريان أن هناك شخصا رابعا ينبغى أن يشهد الحفلة معنا ؟

مار ماريه : من هو ؟

الوزير : شخص كان له الفضل فى حقن دمائكما على هذا الوجه .

دى موتان : لعلك تعنى مدام مار ماريه .

الوزير : ما أعنى سواها .

مارماريه : هذه التفاتة كريمة منك يا معالى الوزير .

الوزير : أحسب أنها ستسر كثيراً بشهود الحفلة .

مارماريه : لا شك . وسيكون ذلك شرفاً لها .

الوزير : إذن فإلى اللقاء الساعة السابعة فى الامباسادير !

مارماريه : إلى اللقاء (يخرج) .

دى موتان : إلى اللقاء . . (بصوت خافض) حذار يا رجل . . إنى لك بالمرصاد ! (يخرج) .

الوزير : (يتنفس الصعداء ويتمطى) رجعت أيامك يا دون جوان ! . . إنها الجمال كله يتخطر فى فستان ! !

— ٣ —

(فى مكان المبارزة بغابة بولونيا — يقف الشهود والمتفرجون فى نصف دائرة وبينهم وزير المستعمرات وقد وقف أمامهم الجنديان المتبارزان).

الوزير : واحد . . اثنان . . ثلاثة ! (يتعالى الصفير وصيحات الاستنكار من جمهور المتفرجين) .

الوزير : (بأعلى صوته) مارماريه . . دى موتان ! مالكما لم تتحركا ؟ ويلكما . . أجبنتما عن النزال ؟

الجندى المغربى: كلا . . سنريكم الآن كيف يكون النزال .

الوزير : لقد أعطيت الإشارة فلم تتحركا .

المغربى : (لمبارزه) اسمع يا مارماريه !

الجندى الهندصينى : لست مارماريه . . أنا تيان كاى .

المغربى : اسمع ياأخى ياتيان كاى . .

الهندصينى : نعم يادى موتان !

المغربى : لست دى موتان . . أنا ثابت بن مهدى . . أرأيت إلى هؤلاء الجبناء كيف يدفعوننا ليقاتل بعضنا بعضا لينتحلوا هم شجاعتنا فى النهاية !

الهندصينى : أجل وليستروا جبنهم عن العالم .

المغربى : أرأيت إلى هذا الوزير المأفون كيف يرمينا بالجبن وهو يعلم أن المغاربة والفيتناميين هم الذين دافعوا عن فرنسا وسقطوا صرعى فى ميادين القتال ، وأن أبناء جلدته هم الذين خروا ساجدين تحت أقدام هتلر !

الهندصينى : وهو اليوم يحملنا على أن نقوم بتمثيل هذه المهزلة السخيفة ليوهم العالم بأن النائبين الفرنسيين دى موتان ومارماريه لم يجبنا عما تورطا فيه من إعلان المبارزة .

الوزير : (صائحا بغضب) اقبضوا على العبدين النذلين !

المغربى : فى وسعكم أيها الفرنسيون الجبناء أن تقبضوا علىّ وعلى أخى وزميلى هذا وتخمدوا أنفاسنا إذا شئتم ، ولكنكم لن تستطيعوا أن تخمدوا نيران الثورة التى تتأجج فى صدور المغاربة والفيتناميين وغيرهم ممن تدعونهم عبيداً لكم وهم الأحرار وأنتم العبيد !

الهندصينى : أظننتم أيها الفرنسيون الجبناء أنى سأفرغ رصاصى فى صدر هذا الأخ المغربى ؟ ويلكم . ليحتفظن كلانا برصاصه ليفرغه فى صدور قوم آخرين !

(يقبض الجنود عليهما ويسحبونهما من الميدان وهما يلعنان ويسبان)

الوزير : (قائما يخطب فى وسط ضجيج المتفرجين) اسمعوا أيها السادة . . أصغوا لى أيها السادة . .

(يهدأ الضجيج رويدا رويدا)

الوزير : أيها السادة . . لعلكم دهشتم لهذا المشهد العجيب الذى رأيتم ، ولعلكم تتساءلون عن وجه الحقيقة فيه ، فاعلموا إذن أن هذا الذي شهدتموه آنفاً إنما هو مشهد تمثيلى كلفنا هذين الجنديين الملونين أن يقوما به تمهيداً للمبارزة الحقيقية التى ستجرى الآن بين النائبين الفرنسيين الباسلين المسيو دى موتان والمسيو مارماريه . وها قد نجحت التجربة والحمد لله ، فقد شهدتم رأى العين ما ثبت للعالم جميعاً بالبرهان القاطع أن فرنسا لم تعتمد ولن تعتمد إلا على شجاعة أبنائها الفرنسيين الأقحاح ، فإلى هؤلاء يرجع الفضل فى كل ما أحرزته فرنسا من النصر فى ميادين القتال . أما الجنود الملونون فهؤلاء لا يغنون عنها شيئاً ، بل تقع عليهم التبعة فيما أصاب فرنسا من الهزيمة فى بعض الميادين .

أصوات : « تتعالى من الجمهور » : يحيا الفرنسيون الأبطال ! يسقط الملونون الجبناء ! تحيا فرنسا الباسلة !

الوزير : أين دى موتان ومارماريه ؟

(يقترب دى موتان ومارماريه منه)

الوزير : لقد وجب عليكما الآن أن تتبارزا .

دى موتان : لكنى وعدت مدام مارماريه ولا قبل لى بغضبها !

الوزير : فى وسعك أن ترضيها فيما بعد . دع المناقشة الآن وخذ طبنجتك ... وأنت يامسيو مارماريه خذ طبنجتك واستعد .

مارماريه : لكن دى موتان قد قبض الثمن !

الوزير : إنما قبض بعض الثمن فاقتله ولا تدعه يقبض الثمن كله !

مارماريه : لكنه قد يقتلنى !

الوزير : إذن يريحك من الحيرة ويريح زوجتك .

مارماريه : أخشى أن يخلو له الجو ...

الوزير : لاتخف ... سأكون له أنا بالمرصاد !هيا تقدما إلى الميدان وأنقذا سمعة فرنسا !

(يتقدمان إلى ميدان المبارزة وبأيديهما طبنجتاهما) .

هتافات : يحيا أبناء فرنسا البواسل . تحيا فرنسا الباسلة !

الوزير : أيها السادة الزموا الهدوء والسكينة ... سأعطى الإشارة الآن ... استعدا أيها النائبان الباسلان ... أريا العالم كله نموذجا من شجاعة أبناء فرنسا ! ... استعدا ... واحد ... اثنان ... ثلاثة !

(يغمض المتبارزان عيونهما ويطلقان فى الهواء ثم يترنحان ويسقطان مغشياً عليهما) .

الوزير : (من خلال ضجيج الجمهور) يا رجال الإسعاف دونكم جثتى الشهيدين سجوهما واحملوهما ...

(ينطلق رجال الاسعاف فيوارون الجثتين فى عربتهم)

الوزير : أيها السادة ترحموا على النائبين الفرنسيين الباسلين مارماريه ودى موتان ... لقد سقطا شهيدين فى ساحة الشرف ... ولتحى فرنسا !

(يترنم الجميع بنشيد المارسيليز)

(ستار)

راشيل والثلاثة الكبار

في قصر إسرائيل بتل أبيب حيث تقيم راشيل الكبرى ويقيم معها حاجبها دافيد بن جوريون .

ترى راشيل في مخدعها جالسة وقد انتفخ بطنها من ثقل الحمل . وهي منهمكة في تبدير وجهها وتحمير شفتيها وتزجيج حاجبيها ، تساعدها في ذلك وصيفتها جولدا ميرسون .

راشيل : كيف ترينني الآن يا جولدا ؟

جولدا : رائعة يا سيدتي !

راشيل : والتجاعيد ؟

جولدا : اختفت تماماً . . إن من يرى وجهك نضراً هكذا لا يحسب سنك أكثر من ثمانية عشر ربيعاً . إن شبابك ياسيدتي يتجدد دائماً .

راشيل : لكن هذا الجنين الذي شوه بطني . . ما حيلتي فيه !

جولدا : هذا مجد إسرائيل يا سيدتي . . لا ينبغي أن تبرمي به فهو فخرك وفخر شعبنا جميعاً .

راشيل : أجل يا جولدا ولكنه يصرف عني عيون الرجال كما ترين !

جولدا : لا بأس أن تصبري قليلا ياسيدتي ... إن هي إلا أيام معدودة وتضعين الطفل الموعود وتعود الرشاقة والفتنة !

راشيل : والآن لا رشاقة ولا فتنة ؟

جولدا : الرشاقة يحجبها هذا الحمل إلى حين أما الفتنة فباقية !

راشيل : إن الفرسان الثلاثة آتون يا جولدا . فهل تظنين أني سأعجبهم ؟

جولدا : ثقي يا سيدتي أنك ستفتنينهم !

راشيل : وأنا على هذه الحال ؟

جولدا : لم لا ؟ إن فى وجهك إشراقاً عجيباً لا شك عندى أنه مستمد من نور الطفل الموعود الذى تحملينه فى أحشائك !

(يدخل دافيد بن جوريون)

بنجوريون : جون بول يا سيدتى قد حضر ، فهل أنت مستعدة ؟

راشيل : نعم . . قده إلى هنا يا دافيد !

(يخرج بنجوريون) .

جولدا : هل أرفع يا سيدتى هذه الأدوات ؟

راشيل : هاتى الغطاء أولا يا جولدا . . ألقيه على بطنى !

جولدا : سمعا يا سيدتى (تنشر الغطاء على بطن راشيل ثم تحمل أدوات الزينة وتضعها فى أماكنها) .

راشيل : (تنظر فى المرآة التى بيدها) إن جونبول لرجل عنيد . ليت شعرى هل أستطيع اليوم أن أقنعه بمشروعى ؟

جولدا : هذا الوجه الوضىء كفيل بإقناعه إن كان فيه ذرة من شعور !

راشيل : هو بارد كالثلج !

جولدا : حرارتك كفيلة بتصييره ماء يغلى !

(يدخل جون بول يتقدمه بنجوريون) .

راشيل : هل أنهض لك يا عزيزى جون بول ؟

جون بول: شكرا يا عزيزتى راشيل . لا تكلفى نفسك هذه المشقة وأنت حبلى متم ! (يصافحها ويقبل يدها) .

راشيل : قد شوهنى هذا الحمل . . أليس كذلك ؟

جون بول: كلا ... أنت جميلة دائما يا راشيل !

راشيل : (لجولدا وبنجوريون) هل لكما أن تدعا السيد جون بول يأخذ راحته ؟ (ينسحبان)

جون بول: كلا ... دعهما يا راشيل ... لا داعى إلى ذلك

راشيل : دعنا وحدنا ... لا نستريح إلا وحدنا ... اقعد هنا بجنبى .

جون بول: (يقعد على كرسى أمامها) بلغنى أنك أصبت بنزيف

راشيل : قد شفيت منه ... ألا يسرك هذا ؟

جون بول: بلى يا راشيل ، فما الدواء الذى قطعه عنك ؟

راشيل : لقد أصابنى النزيف من اغتمامى لانتصارات العرب ثم شفانى منه سرورى بانكساراتهم بعد ذلك .

جون بول: دواء عجيب ! لعلك تشكرين الصيدلى الذى قام بتحضيره !

راشيل : أنا تحت أمر هذا الصيدلى الآن فليأمرنى بما يشاء !

جون بول: شكرا يا راشيل .

راشيل : ثق أنه قد انقطع تماما

جون بول: (يخرج سيجارا فيشعله) : ألا تخبريننى يا راشيل عن الأمر الهام الذى دعوتنى من أجله .

راشيل : سيكون لنا متسع من الوقت لبحثه فيما بعد .

جون بول: بل عجّلى به الآن فأنى على موعد .

راشيل : إن مشروعى يحتاج إلى إصغاء منك ، فإن كنت غير مستعد لسماعه الآن فعد إلينا مرة أخرى

جون بول: ما جئت إلا لسماعه يا راشيل ، فما هو ؟

راشيل : إنى كما ترى فى شهرى التاسع ، وسأضع المسيح الموعود بعد أيام قلائل ، وقد علمت أنه سيجمع شتات اليهود ، ويعيد الهيكل ، وينشىء مملكة إسرائيل التى ستسيطر على العالم كله .

جون بول: نعم . . هذه عقيدتكم . . فما هو مشروعك ؟

راشيل : نحن بحاجة إلى حليف قوى يشاركنا فى عبء القيام بإنشاء هذه الدولة العالمية الكبرى ويقاسمنا إياها ، وما ذلك الحليف القوى إلا أنت !

جونبول : قد أصبحت اليوم ضعيف الحول كما تعلمين .

راشيل : هذه فرصة لاستعادة حولك وقوتك ، واسترجاع ما فقدت من امبراطوريتك ، فلا تضيعها فربما لا تعود !

جونبول : أغلب ظنى أنك قد عرضت هذا الاتفاق نفسه على الدب الأحمر ، وأنه قد قبل التعاون معك !

راشيل : كلا .

جونبول : ألم يقبل ؟

راشيل : ما عرضنا عليه أى اتفاق .

جونبول : هناك دلائل ياراشيل . . كتأييده الشديد لمشروع التقسيم

راشيل : رأى الحق فى جانبنا فأيده !

جونبول : (يضحك) الحق !

راشيل : نعم

جونبول : وقيام اليهود بترويج الأفكار الشيوعية فى كل مكان ؟

راشيل : معظم هؤلاء لا سلطان لى عليهم .

جونبول : والذين فى فلسطين منهم ؟

راشيل : قليل جدا من هؤلاء شيوعيون .

جونبول : بل كثير جدا يا راشيل ، ولولا الرقابة الشديدة على المهاجرين اليهود وتصفيتهم فى قبرص لكان جميع الذين دخلوا منهم فلسطين من الشيوعيين الذين جاءوا لترويج الشيوعية فى الشرق الأوسط .

راشيل : ثق أن هؤلاء سيتخلون عن شيوعيتهم عما قريب .

جونبول : والقواد الروس الذين وجد العرب جثثهم بين القتلى ؟

راشيل : أولئك من النفر القليل الذين تطوعوا للقتال فى سبيل الشعب اليهودى وليس لنا أن نمنعهم من ذلك .

جونبول : لكن هؤلاء الحمر لا يتطوعون مجانا !

راشيل : مهما يكن أمرنا فنحن بطبيعتنا رأسماليون ، فلا يمكن أن نكون شيوعيين مخلصين ، وإنما ننتحل الشيوعية كأداة لقضاء أوطارنا فحسب

جونبول : قد تنظرون هذه النظرة إلينا أيضا !

راشيل : كلا يا عزيزى جونبول . . إن أغراضنا متفقة تماما . . كلانا رأسمالى وكلانا يحب التوسع الاستعمارى .

جونبول : قد شبعت قديما من التوسع الاستعمارى فأضحت نفسى تعافه . . ولكن عندك من هو أصلح منى لهذا الغرض فاتفقى معه .

راشيل : من ذا تعنى ؟

جونبول : محبك الولهان العم سام !

راشيل : دعنى منه فانه لا يصلح

جونبول : إنه أغنى الناس !

راشيل : كل غناه فى يدى !

جونبول : فهذا يجعل لك النفوذ عليه ويساعدك فى تنفيذ مشروعك .

راشيل : نعم .. لو شئت لأمرت هذا الخنزير الغبى فتمرغ فى التراب بين قدمىّ وهو مغتبط سعيد ! ولكنى بحاجة إلى هذا العقل الذى فى رأسك .. فإذا اتحدت معى فسنكون مركز الثقل فى هذا العالم المشطور إلى كتلتين فنخضعهما معا لإرادتنا . . أعتقد أن هذا برنامج يستحق منك الاهتمام ؟

جونبول : لكنى مسيحى ، ولا أستطيع أن أومن بخرافة مسيحكم الموعود ، فالقول بها كفر صريح بالسيد المسيح .

راشيل : لا داعى للنفاق بيننا والمداهنة . أنت تعرفنى وأنا أعرفك . لا أنت مؤمن بدينك ولا أنا مؤمنة بدينى . ولكنها خرافة نجمع عليها دهماء الشعب فننال بها منهم التأييد الدينى العميق .

جونبول : ويلك من يهودية صحيحة !

راشيل : (تضحك) ويلك من مسيحى زائف !

جونبول : والرؤيا التى رأيتها هل تؤمنين بها ؟

راشيل : نعم ، . أؤمن بها ، لأنى أنا بنفسى اخترعتها !

جونبول : بديع !

راشيل : مسكينة أمك !

جونبول : ما بالها ؟

راشيل : كانت تربينى إذ قصصت عليها هذه الرؤيا ، فظلت مصدقة بها إلى اليوم !

جونبول : أؤكد لك يا رشيل أن أمى حدثتنى ذات يوم أنك اخترعت هذه الرؤيا وأنها أظهرت تصديقها مجاملة لك !

راشيل : ما اشد مكرها من عجوز !

جونبول : هلا قلت : ما أرق شعورها ! إنك لجحود يا راشيل !

راشيل : أنا لا أجحد فضلها علىّ ولكنى أكره الصنيع الذى لا يتمه صاحبه فهل لك يا سيدى جونبول أن تتم صنيع أمك ؟

جونبول : لقد أتممت صنيع أمى ولكنك لا تشكرين . ألم أنقذ جنودك من أيدى العرب فى كل معركة يستنجدون بى فيها ؟ ألم أتركـكم تذبحون أطفال العرب ونساءهم وشيوخهم وأنا واقف أسمع صوت ضميرى يؤنبنى فأتصامم عنه ؟ ألم أخدع العرب عن حيفا فسلمتها إلى أيديكم بغتة ؟ ألم أرجع إليك فى تحديد موعد انتهاء الانتداب فاعتمدت اقتراحك بجعله يوم ١٥ مايو ؟

راشيل : كنت أظن أنى سأضع طفلى قبيل ذلك التاريخ ، ولكنى أخشى اليوم أن يتأخر موعد الوضع . فهل لك أن تمد أجل الانتداب عشرة أيام أخر ؟ ألم يخاطبك الخنزير الغبي فى هذا ؟

جونبول : بلى قد خاطبنى فى ذلك ولكن حكومتى لا تقدر أن تواجه الشعب بتأجيل هذا القرار ولو يوما واحدا .

راشيل : قد ينتهي الانتداب قبل أن أضع مولودى فكيف أعلن حينئذ قيام دولة إسرائيل ؟

جونبول : ماذا عليكم لو أخرتم إعلان قيامها حينئذ حتى تلدى الطفل الموعود ؟

راشيل : سينادى العرب بطفلهم المقمط ملكا على فلسطين وسيبهرون الدنيا بطفل يكلم الناس وهو فى المهد !

جونبول : ليس هذا الطفل فى أيديهم

راشيل : أجل . . هو فى يدك فسلمه إلىّ إن شئت أن أطمئن .

جونبول : كلا ليس هو فى يدى .

راشيل : ففى يد من ؟

جونبول : فى يد الله . .

راشيل : أنت الله !

جونبول : لا تكفرى ويلك !

راشيل : كلاما كفرت . هذه عقيدتنا نحن اليهود : كل من يملك فى يومنا أن يضرنا أو ينفعنا فهو ربنا !

جونبول : (يبتسم) : حكمة بالغة !

راشيل : (كالمتضرعة إليه) : ياربى يا جونبول . . سلم لى الطفل العربى !

جونبول : ماذا تصنعين به ؟

راشيل : أذبحه وأشرب دمه !

جونبول : قد تحتاجين يوما إليه .

راشيل : أحتاج إليه ؟ لأى شىء ؟

جونبول : قد يبدو لك أن تتبنيه .

راشيل : ماذا تقـــول ؟ أتبناه وعندى طفلى المحبوب مجد إسرائيل ومسيحه المنتظر ؟

جونبول : لا تستطيعين الاعتماد على طفل لم يولد بعد ، فقد يخرج سقطا أو يولد ميتا ، أو مسيخا ، أو مشوها ، أو . . .

راشيل : (غاضبة) : اسكت ويلك !

جونبول : لا تغضبي يا راشيل من نصحي ، واذكرى يا ربيبة أمي أن عليّ أن أتم صنيع أمي فيك !

راشيل : أنصحٌ هذا أم تشهير ؟

جونبول : (يلاطف ذقنها بيده) : ما أعذبك يا راشيل إذ تغضبين وما أحلى هذا العبوس !

راشيل : (بين العبوس والابتسام) : هل أخبرتك أن النزيف قد انقطع عني تماما ؟

جونبول : (يسحب يده من ذقنها) نعم . . نعم . . وقلت أن انتصارات العرب أثارته وانكساراتهم قطعته .

راشيل : (تتنهد) إنك لا تحبني .

جونبول : بل أعبدك .

راشيل : بالقول فقط .

جونبول : لو صح ما تقولين لما آثرت مصلحة طفلك على مصلحتي !

راشيل : أتدعى أنك ترعى مصلحة طفلي وقد تمنيت له آنفا أقبح الصفات ؟

جونبول : حاشاى أن أتمناها له ، وإنمـــا خشيت أن يجيء على إحدى تلك الصفات !

راشيل : ولماذا تتطير لي ؟ وإنما يتطير المرء لعدوه لا لصديقه .

جونبول : ليس هـــذا من باب التطير يا راشيل ، بل من قبيل التوقع المستند إلى الدليل .

راشيل : ويلك لقد أخفتني .

جونبول : مجابهة الحقيقة خير من الهرب عنها .

راشيل : فما الدليل الذي تشير إليه ؟

جونبول : أستحي أن أذكره بين يديك .

راشيل : (بصوت متراخ) إن الحياء يا سيدى لضعف فاضح . إن كنت تستحى أن تذكره بين يدىّ فاذكره بين . . .

جونبول : (مقاطعا) : أتحتملينه ؟

راشيل : يا للسؤال الغريب ! إن لم تحتمل راشيل الكبرى ، فمن التى تحتمل ؟

جونبول : إنك حملت هذا الطفل من مندوبى ثلاث وثلاثين دولة ؟

راشيل : نعم . . أو تظن هذا العدد غير كاف لتحقيق البشارة التى وردت فى الرؤيا ؟ لقد سألت عميد الحاخامين فى ذلك فأفتانى بأنه لا يشترط أن يمثلوا شعوب العالم كلها . بل يكفى أن يمثلوا مختلف الأجناس البشرية المعروفة . . .

جونبول : هذا كله خارج عن موضوع حديثى ولا شأن لى به ألبتة .

راشيل : فماذا تريد أن تقول ؟

جونبول : قد بلغنى من مصادر لا يتطرق إليها الشك أن بين أولئك المندوبين الثلاثة والثلاثين كثيراً من المصابين بالأمراض الخبيثة ، بل إن بينهم من يفتخر بدائه الخبيث على رؤوس الأشهاد .

راشيل : ويل عليه ! ذاك مندوب جواتيمالا الحلو الظريف !

جونبول : كأنك تعرفين كل هذا ؟

راشيل : بالطبع . . هل يمكن أن يخفى مثل هذا على مثلى ؟ إن كنت تخشى علىّ من ذلك فاطمئن .

جونبول : بل أخشى على الطفل !

راشيل : لقد أدركت سوء نيتك ! إنك تنـوى ألا تعترف بشرعيته حين يولد .

جونبول : لا حق لك أن ترمينى بسوء النية وأنا صديقك الناصح المخلص .

راشيل : لا أعتبرك صديق إلا إذا تعهدت لى بالاعتراف بشرعية ابنى ساعة يرى النور !

جونبول : لا أستطيع أن أتعهد لك الآن بذلك فربما لا ترى عيناه النور أبدا

راشيل : فال إسرائيل ولا فألك !

جونبول : لا تغضبى من الصراحة ياراشيل ، فهى أنفع لك من الخداع .

راشيل : فهل تتعهد لى بذلك حين تعلم أن طفلى قد رأى النور ؟

جونبول : لا . . فقد يرى النور أياما ثم يموت !

راشيل : (غاضبة) : فاذهب عنى ! أنت عدوى . . لا عدو لى غيرك !

جونبول : ما أسرع ما نسيت جميلى !

راشيل : أى جميل ياعدو إسرائيل ؟ !

جونبول : وجميل أمى التى ربتك ؟

راشيل : لُعنت أمك العجوز القوادة !

جونبول : ما ذنبها ؟ ليس فى مستطاعها أن تجعل منك قديسة : انها ربتك على حسب استعدادك ولولا ذلك لما نبغت فى فنك !

راشيل : فعلام تخلت عنى فى منتصف الطريق ؟

جونبول : إنما ضعفت من الكبر فوكلت رعايتك إلىّ .

راشيل : وكلت رعايتى إلى من لا يريد أن يعترف بابنى !

جونبول : لا أعترف به حتى أراه سليما قويا قادرا على الحياة والبقاء ولو لبضع سنوات .

راشيل : اغرب عن وجهى . سيعترف به العم سام والدب الأحمر وغيرهما رغم أنفك !

جونبول : انى أعلم أن هذين سيتسابقان إلى الاعتراف بابنك ولو ولد ميتا ، لا حبّاً فيك بل كيدا من أحدهما للآخر . وهــذا لا يسوءنى

ياراشيل بل يسرنى لانه سيبرهن لك فى النهاية على إخلاصى فى نصحك وخدمتك من حيث غرك هذا الجاهل الغبى وذاك الماكر الخبيث !

راشيل : لا تسبهما فهما خير منك !

جونبول : ستعلمين غــداً أن صديقك جونبول هو الذى سيغيثك فى اللحظة الحرجة .

راشيل : تغيثنى ؟ ممن ؟

جونبول : من العرب !

راشيل : أبعد أن كسرناهم وأذللناهم وأخرجناهم من ديارهم ؟ قل إنك ستغيث العرب من بطش رجالى ! ولهذا تتلكأ بجنودك فى حيفا !

جونبول : سترين غداً أن بقاء جنودى بحيفا انما هو لنحدتك فى ساعة الشدة حين تحدق بك جيوش العرب من كل ناحية . .

(يدخل بنجوريون فيدنو من راشيل ويسارها ، ثم يقف كالمنتظر لأمرها) .

راشيل : أهذا موعده ؟

بنجوريون : نعم ياسيدتى . . . بالضبط .

جونبول : (بصوت خافض) . ترى من القادم الجديد ؟

راشيل : ليس هذا من شأنك . اخرج به يادافيد من الباب الخلفى .

(تدخل جلدا ميرسون)

جونبول : هذه صديقتى جولدا ستوصلنى . عليك يامستر بنجوريون بالضيف الجديد ! حظاً سعيدا ياراشيل . انا دائماً فى خدمتك !

(يخرج وتخرج جولدا معه)

راشيل : ناولنى تلك المرآة يادافيد !

(يناولها بنجوريون المرآة)

راشيل : (تتطلع فى المرآة لتصلح شعرها وهيئتها) : هل ترى على وجهى شيئاً من آثار الغضب يادافيد ؟

بنجوريون : كلا ياسيدتى . . إن وجهك لمشرق وضاح .

راشيل : صحيح ؟

بنجوريون : ان الدب الأحمر ياسيدتى لا يصبر طويلا على الانتظار !

راشيل : صدقت . . قده إلى هنا يادافيد !

« ستار »

ليلة ١٥ مايو

(١)

بهو الاستقبال فى قصر إسرائيل بتل أبيب .

بنجوريون : (يستقبل جونبول) مرحبا بك ياسيدى جونبول .

جونبول : هل وضعت مولاتك راشيل وكيف حالها ؟

بنجوريون : نعم ياسيدى قد وضعت وهى بخير .

جونبول : فى الساعة التى حددناها ؟

بنجوريون : بالضبط ياسيدى فى الساعة الرابعة بعد الظهر تماما .

جونبول : جميل !

بنجوريون : لقد كنا نخشى أن يتأخر وضعها فينتهى الانتداب قبل أن يخرج الطفل الموعود إلى عالم الوجود . ولكن إله إسرائيل لطف بنا فأظهر لنا هذه المعجزة فى آخر لحظة :

جونبول : (مبتسما) إنك إذ تنسب ذلك إلى إله إسرائيل إنما تنكر فضل مكروه من البشر قد أتقن حساب الزمن الذى تضع فيه راشيل فأصاب فى التقدير .

بنجوريون : صدقت . . لو كان من إله إسرائيل لما جاء بتلك الصورة . .

جونبول : ما تقول ؟

بنجوريون : لا شىء ياسيدى ، لا شىء .

جونبول : حسنا ... هل لك أن تستأذن لى عليها ؟

بنجوريون : الآن ؟

جونبول : نعم .

بنجوريون : لكنها الآن مشغولة .

جونبول : فإنى لن أشغلها ... سأقول لها كلة واحدة ثم أنصرف ... سر أمامى إلى مخدعها !

بنجوريون : كلا ياسيدى .

جونبول : عندها أحد ؟

بنجوريون : نعم .

جونبول : أيكون العم سام ؟

بنجوريون : نعم ...

جونبول : خشى أن يسبقه الدب الأحمر !

بنجوريون : (ينادى) جولدا ! جولدا !

(تدخل جولدا)

جولدا : نعم يا بنجوريون ...

بنجوريون : هل لك يا جولدا أن تؤانسى السيد جونبول ريثما تنتهى مولاتك من شغلها ؟

جولدا : حبا وكرامة !

جونبول : كلا يا بنجوريون ... لا وقت عندى للانتظار ... ادخل فأسرر إليها أننى هنا .

بنجوريون : هل الأمر مستعجل إلى هذا الحد ؟

جونبول : نعم :

بنجوريون : انتظرنى لحظة (يخرج) .

جولدا : (تدنو من جونبول) أليس من الجفاء يا سيدى أن ترفض ما عرضه عليك بنجوريون ؟ هى نفساء . . أما أنا فلا !

جونبول : أشكرك يا جولدا . . إنما جئت فى مثل هذه الساعة من النهار لأمر هام جدا .

جولدا : مثل الأمر الذى جاء بالعم سام قبلك ! ما أسمج هؤلاء الرجال ! إنهم لا يتقززون أبدا من شىء !

(تدخل راشيل متحاملة على ذراع بنجوريون) .

جونبول : كان بودى أن تأمرى فأدخل إليك لا أن تتكلفى هـذه المشقة وأنت متعبة من الوضع .

راشيل : (تشير إلى الداخل) كيف والخنزير الغبى فى مخدعى ؟ (تتهالك على كرسى أمام جونبول فتقعد عليه) ادخلى إليه يا جولدا .

(تخرج جولدا) .

جونبول : ماذا يصنع فى هذه الساعة ؟

راشيل : كالعادة !

جونبول : كالعادة !

راشيل : نعم ... إنه لا يميز ...

جونبول : مخلوق قذر ! .

راشيل : لا تشتمنه أمامى فإنه يحبنى وقد اعترف بشرعية ابنى قبل الناس أجمعين .

جونبول : وماذا يفيدك اعترافه ؟

راشيل : تقول هذا لأنك لا تريد أن تعترف به ولو شئت لكنت أول السابقين . إنك يا جونبول أصبحت تكرهنى !

جونبول : حاشاى يا راشيل .. إنى لأحبك ولكنى لست خنزيرا غبيا فأفعل ما فعل العم سام ! العبرة يا راشيل بسلامة الطفل وقوته لا باعتراف الأغبياء به .

راشيل : فماذا صنع العقلاء لى وأنت منهم ؟

جونبول : ألم أنذرك بأن جنينك هذا سيخرج مشوّها ؟ فكيف رأيت صدق تقديرى ؟

راشيل : إنك لم تره بعد .

جونبول : لو رأيته لما ازددت به علما .

راشيل : إي والله لقد كان تقديرك شؤما عليّ ولولاه لما خرج ابني بتلك الصورة ال...

جونبول : ذاك شؤم المرض الخبيث ياراشيل لاشؤم تقديري .

راشيل : قل لي ماذا أصنع الآن ؟ إن سفراء الدول سيأتونني غدا لتهنئتي فكيف أعرض على أنظارهم هذا المسخ ؟

جونبول : هذا ما جئتك من أجله .

راشيل : فبأي شيء جئتني ؟

جونبول : هل تذكرين الطفل العربي المقمّط ؟

راشيل : ما باله ؟

جونبول : سأحضره لك الساعة لتعرضيه على أنظارهم بحسبانه ابنك .

راشيل : فكرة مدهشة ! أتدري ياجونبول أن هذا الطفل ..

جونبول : نعم سيؤيد خرافتك بكلامه في المهد .

راشيل : هل كنت تقصد هذا التدبير ؟

جونبول : بالطبع يا راشيل .

راشيل : ما أبعد نظرك وأقدرك على تسيير الأمور وفق مشيئتك ! آه لو كنت تهواني !

جونبول : إن مودتي يا راشيل لخير لك من هواي .

راشيل : لقد حيرتني يا جونبول في أمرك لا أدري على التحقيق هل تضمر لي ودا أم تبطن لي عداوة ؟ ليت شعري متى تريحني من هذا الشك ؟

جونبول : مادام في إمكانك أن تغدري بي فلن أريحك من هذا الشك أبدا .

(٣)

في بهو الاستقبال . . . سفراء جواتيمالا ويوغوسلافيا وتشكوسلوفاكيا ينتظرون الإذن لهم بدخول مخدع راشيل .

جواتيمالا : (متذمرا يذرع البهو جيئة وذهابا) هذا شيء لا يطاق ! إلى متى أنتظر الإذن بالدخول ؟

يوغوسلافيا : اصبر قليلا إنا معك من المنتظرين !

تشكوسلوفاكيا: أجل . . نحن هنا سواسية .

جواتيمالا : كلا . لا يقاس بي أحد غيري . يجب على راشيل أن تعرف أن لي مكانتي !

يوغوسلافيا : إنها مشغولة بالثلاثة الكبار . . أتريد أن تكون مثلهم ؟

جواتيمالا : أنا أكبر من هؤلاء مقاما . راشيل تعرف والدنيا كلها تعرف أنني أعظم عاهر في هذا العصر الذرى !

يوغوسلافيا : ولكنك تمثل أصغر دولة في الأرض !

جواتيمالا : إنما تعظم الدول بنوابغها لا بمساحة أرضها . إني أتحدى أمم الأرض جميعا أن تنجب إحداها عاهرا مثلي !

تشكوسلوفاكيا: والدب الأحمر ؟

جواتيمالا : ماذا يصنع لها ذاك الكبير البطن ؟

تشكوسلوفاكيا: حذار أن تدع أحدا يعرف أنك قلت هذا الكلام أمامنا .

يوغوسلافيا : ويل لنا من الدب الأحمر إن عرف !

جواتيمالا : إني ماقلت إلا الحق .

تشكوسلوفاكيا: والعم سام . ماتقول فيه ؟

جواتيمالا : ايقاس بي ذاك الغبي الذى تحتقره أمته قبل غيرها من الأمم ؟

تشكوسلوفاكيا: وجونبول ؟

جواتيمالا : هذا له شأن آخر . هذا قوّاد وليس بعشيق ! هذا يهيمن على مخدعها ولا يدخله !

يوغوسلافيا : وأنت . . . أين مقامك الذى تدّعيه؟ ما أرى إلا أنها أهملتك وأهملتنا بسببك ؟

جواتيمالا : بسببى !

يوغوسلافيا : نعم . . لولا وجودك معنا لـكانت قد أذنت لنا . . إنك أعلنت فضيحتها فى كل مجمع .

جواتيمالا : ويلـكما . . أتعدّان ذلك فضيحة ؟ لقد قلدتها شرفا تتحدث به الأجيال إلى الأبد !

تشكوسلوفاكيا: كفى تبجحا يا جواتيمالا ! لقـد صدعت رؤسنا بدعاويك الفارغة !

جواتيمالا : حسنا . . سأريكما الآن من أنا ! (ينادى بأعلى صوته) بنجوريون ! بنجوريون ! يا بنجوريون !

(يدخل بنجوريون مسرعا) .

بنجوريون : ما خطبك ؟ ما هذا الصياح ؟

جواتيمالا : أين سيدتك ؟ هل أعلمتها بأنى هنا ؟

بنجوريون : نعم يا سيدى من أول ما جئت .

جواتيمالا : فـكيف تركتنى إلى الآن ؟

بنجوريون : إنها ما تزال مشغولة :

جواتيمالا : أبغيرى تشغل عنى ؟

بنجوريون : خفّض عليك يا سـيدى ، ستخرج وشيكا إليك . . وإلى زميليك الـكريمين .

جواتيمالا : ستخرج لى ؟

بنجوريون : نعم .

جواتيمالا : أين ؟ هنا فى البهو ؟

بنجوريون : نعم .

جواتيالا : كلا . . لا أريد . . أريد المخدع . . قدنى إلى المخدع ! (يمسك بتلابيب بنجوريون) قدنى إلى المخدع يا وغد . . وإلا .

(يدخل الدب الأحمر من الباب الموصل إلى داخل القصر) .

الدب الأحمر : مشمئزا يبصق يمينا وشمالا) حيوان قذر ! !

جواتيالا . فيم تشتمنى يا سيدى ؟ إنى لم أسىء إليك .

الدب الأحمر : (مستغربا) أشتمك ؟ من تكون يا هذا ؟

جواتيالا . أنا جواتيالا !

الدب الأحمر . (باحتقار) جواتيالا !

جواتيالا : الحائز للقب أعظم ماهر فى هذا العصر الذرى !

الدب الأحمر : (يقهقه ضاحكا) جواتيالا !

جواتيالا : ماذا يضحكك يا سيدى ؟

الدب الأحمر : هىء هىء هىء

جواتيالا : وتضحكان أنتما أيضا !

تشكوسلوفاكيا: أنت الذى أضحكتنا .

يوغوسلافيا : هل تريد أن تمنعنا من الضحك ؟

جواتيالا : (للدب الأحمر فى ذلة وانكسار) اصفح عنى يا سيدى أن أسأت إليك . .

الدب الأحمر : ماذا يقول هذا الأحمق المأفون .

جواتيالا : أنك قلت عنى حيوان قذر !

الدب الأحمر : أنت

جواتيالا : نعم

الدب الأحمر : ويلك . . ما قيمتك فأشتمك ؟

جواتيالا : فمن ذا قصدت يا سيدى بشتيمتك ؟

الدب الأحمر : حيوان آخر أقذر منك !

يوغوسلافيا : من هو يا سيدى ؟

الدب الأحمر : العم سام . . ما أقذره وما أوقحه !

يوغوسلافيا : ماذا صنع يا سيدى ؟

الدب الأحمر : يأتى المنكر أمامى ذلك الحيوان القذر

بنجوريون : (يدنو منه متملقاً) يعز علينا يا سيدى أن تلقى فى قصورنا ما يكدر خاطرك . هذه حقا قلة ذوق من العم سام . ولكنك تعرف حمقه وطيشه فأعرض عنه يا سيدى من أجل راشيل .

الدب الأحمر : فليرتكب ما شاء من حماقاته فى مغيبى . . أما فى مشهدى . .

بنجوريون : إنك واسع الحلم والمغفرة ، وقد استطاعت مولاتى راشيل أن تزيل ما بينكما من الخصومة والخلاف لمصلحة السلام العالمى : فلا تدع حمقه يتغلب على حكمتك .

الدب الأحمر : لكن هذا لا يحتمل !

بنجوريون . لا بأس أن تحتمله يا سيدى من أجل راشيل حتى لا يستغل أعداؤنا العرب ما بينكما من الخلاف فى هذا الظرف الدقيق الذى يتقرر فيه مصير إسرائيل !

(تدخل راشيل وخلفها العم سام كاللائذ بها)

راشيل : مرحباً بكم جميعاً يا ضيوفى الأعزاء (تصافح الثلاثة واحداً واحداً) أهلا بك يا جواتيمالا

جواتيمالا : نفسى فداؤك يا روحى

راشيل : رويداً يا جواتيمالا . كفكف قليلا من غلوائك !

جواتيمالا : أنا عبدك يا راشيل أقبل تراب قدميك يا راشيل

راشيل : ما أعذبك يا جواتيمالا . . أيها الداعر العتيق

جواتيمالا : (يلتفت إلى الدب الأحمر) أسمعت يا سيدى كيف شهدت لى راشيل . هذه شهادة أعتز بها مدى الحياة

(الدب الأحمر ينظر شزراً إلى العم سام دون أن ينبس بكلمة)

العم سام : افخروا ما شئتم بشهاداتها القولية . . أما الشهادة الفعلية فلى فيها القدح المعلى

جواتيمالا : القولية يا سيدى تعلن على الناس . . أما الفعلية فلا يراها أحد . .

العم سام : لقد رآها اليوم رجل كبير المقام جدا .

الدب الأحمر: أيها الحيوان القذر ، أما كفاك سوء ما صنعت حتى تتبجح به ؟

العم سام : (يضحك ضحكة المنتصر) تذم هذا العمل لأنك أردت أن تسبقنى إليه فسبقتك .

الدب الأحمر: (يبصق يمينا وشمالا) قذارة تثير الاشمئزاز فى النفس .

العم سام : إن أثار هذا الأمر الاشمئزاز فى نفس المحروم فقد أتاح اللذة للمحظوظ السعيد .

الدب الأحمر: صدقت . . . إن أسعد الخنازير لهى تلك التى تتمرغ فى أقذر الحظائر .

(يدخل جونبول فجأة)

جونبول : لقد سمعت طرفا من تلاحيكما . وليس يعنينى ما يقوله أحدكما للآخر ، ولكن يجب أن تراعيا شعور راشيل .

الدب الأحمر : ماذا تعنى يا سيد جونبول ؟

جونبول : قد نعذرك فى قولك أسعد الخنازير . . أما أقذر الحظائر فهذه كبيرة منك . .

الدب الأحمر : أيها الدساس المحترف إنى ما قصدت المساس براشيل فيما قلت فلا تحاول الوقيعة بيننا .

العم سام : يتهمنى الدب الأحمر بجهل آداب السلوك وهو الذى يجهل آداب السلوك مع سيدة محترمة .

راشيل : إنى أعفيكم من مراعاة آداب السلوك معى . . . على ألا تتلاحوا

بسببي فإني بحاجة إلى كل واحد منكم . . إن العم سام قد اعترف بشرعية ابني فهلا تصنعون مثله ؟

جواتيمالا : أنا أقدم اعترافي على شرط أن يكون لي نصيب فيما استأثر به العم سام فليس أحد خيرا من أحد !

راشيل : لك عندي يا جواتيمالا ما تحب من ذلك .

جواتيمالا : إذن فسأسجل اعترافي بماء عيني ومخ ساقي !

راشيل : بوركت يا جواتيمالا إنك لسباق إلى المكرمات !

(لتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا)وأنتما يا صديقي العزيزين ؟

يوغوسلافيا : لا يحق لنا أن نتقدم في ذلك على عميدنا الجليل .

راشيل : (الدب الأحمر) ماذا ترى يا عزيزي ؟

الدب الأحمر : هل تشكين في تلبيتي لهذا الطلب منك وطالما دعوت الناس إلى تأييدك ؟

راشيل : أتعترف ؟

الدب الأحمر : بلا قيد ولا شرط .

راشيل : ما أبرك بي وما أكرمك .

الدب الأحمر : لا تطريني يا أخت ماركس ولينين فإنما أقضي بعض دينهما عليّ .

يوغوسلافيا : وأنا أعترف بلا قيد ولا شرط .

تشكوسلوفاكيا: وأنا كذلك .

راشيل : وأنت يا جون بول ؟

جون بول : لا أستطيع ذلك الآن .

راشيل : دعوه الآن فسيعترف بابني في حينه .

الدب الأحمر : اسمعي يا راشيل . . . إني خذلت العرب في سبيلك ، وصارحتهم العداوة ، وأعرضت عن مصالح لي كثيرة عندهم . فلا وحق ماركس لا أدع أحداً يغشى المعسكرين معاً ويحاول أن يفيد من هذا

وذاك على حسابنا جميعاً ؛ فعلى جونبول أن يحدد اتجاهه . فإما إليك يا راشيل وإما إلى عدوك ؟

العم سام : إن الدب الأحمر لعلى حق فيما يقول : إنى لأهنئه على صراحته !

الدب الأحمر : يسرنى ثناؤك هذا . بيـــد أن من حق راشيل عليك — وقد أشبعت جونبول من جوع وأغنيته من فقر — أن تهدده بقطع المعونة إن لم يكف عن إرسال الأسلحة إلى العرب .

راشيل : كلا هذا كثير على جونبول . . . ثقوا أنه سيعترف بابنى فى الحين الملائم .

جونبول : إن الاعتراف الذى لا قيمة له هو ما لا يبالى صاحبه أصح ذلك الاعتراف أم بطل . أنا صديقك يا راشيل ، وأنت ربيبة أمى فلا أستطيع أن أغشك !

الدب الأحمر : صديق !

جونبول : نعم . . إن صديقك من صدقك لا من صدّقك .

الدب الأحمر : لا يخدعنك هذا ياراشيل فهو إنما يؤجل اعترافه حتى يتمكن العرب من إعلان دولتهم فى فلسطين فيسارع هو إلى الاعتراف بها !

جونبول : هذا صحيح ! .

راشيل : ماذا تقول !.

العم سام : حذار ياجونبول . . لئن فعلت ذلك لأقطعن معونتى فلا يصل إليك دولار واحد .

جواتيمالا : لقد صرح جونبول الساعة بعداوته لحبيبتنا راشيل ، فعلينا جميعاً أن نعاديه ونقاطعه .

جونبول : أيها السادة لو فهمتم قصدى ما تهجمتم هذا التهجم على ؟

الدب الأحمر : إن قصدك واضح ! .

جونبول : واضح لمن يفهمه ! .

الدب الأحمر : إنه يرمينا بالبلادة وقلة الفهم .

العم سام : إنى أحتج على ذلك .

جونبول : إن الأمر أبسط من أن يجرنا إلى هذه المشادة .. وها كم البيان . إن العرب لن يعلنوا قيام دولتهم فى فلسطين حتى تكون لهم السيطرة التامة على فلسطين كلها .

الدب الأحمر : وحينئذ تعترف أنت بدولتهم ؟ .

جونبول : بالطبع .. لأنها ستكون حينذاك دولة قائمة بالفعل ،سواء اعترفت بها أو لم أعترف .

بنجوريون : لن نمكن العرب من ذلك أبدا . لنمضين فى قتالهم حتى نبيدهم جميعا !

جونبول : بحسبي أن تقهروا العرب وتحولوا بينهم وبين خنق هذا الطفل الوليد لأعترف لكم بقيام دولته كما تريدون .

بنجوريون : لاحاجة بنا حينئذ إلى اعترافك .

جونبول : ذلك ما أعناه لكم أن تكونوا فى غنى بقوة وجودكم عن اعترافى واعتراف غيرى .

الدب الأحمر : إياك أن تصدقيه ياراشيل فإنما قال هذا ليبرر تقصيره فى حقك وليحملنا على سحب اعترافنا .

جونبول : كلا ليس فى وسعى أيها السادة أن أحمل أحداً منكم على سحب اعترافه ، ولكن الأيام هى التى سترغمكم جميعاً على ذلك .

الدب الأحمر : انظروا إلى هذا الكاهن الجديد الذى يدعى معرفة ما فى بطون الأيام .

جونبول : كلا إنى لا أدعى الكهانة ، ولكن نُذُر اليوم تفصح عن وقائع الغد . إنى أنصحكم أن تسحبوا اعترافكم قبل أن تذروه رياح الزمن فتكونوا أضحوكة الأجيال !

راشيل : حسبك ياجونبول . . إن كلامك هذا ليملأ قلبي رعبا ! .

الدب الأحمر : إنه يريد تخويفك ياراشيل وتخذيلنا عن نصرتك ، وهو يدّعى مع هذا أنه صديقك . وأعجب من ذلك أنك تميلين إلى تصديقه !

راشيل : كيف لا أصدقه وقد سلم إليّ الطفل القمّط ..

جونبول : (ينظر إليها نظرة زاجرة) راشيل ! هذا سر لا ينبغي أن تفشيه ! .

الدب الأحمر : الطفل المقمط !

العم سام : ما الطفل المقمط يا راشيل .

جونبول : أما وقد أفشته لكم فاعلموا أنها تعني حيفا . . . قد اصطلحنا على تسميتها بالطفل المقمط . . إياكم أن يعلم العرب بهذا فيتخذوه حجة لهم عليّ وعلى راشيل

راشيل : (تتنفس الصعداء) أجل . . كيف لا أصدقه وقد خدع العرب عن حيفا وسلمها لرجالي ؟

الدب الأحمر : يسلمها لك ويبقى هو مرابطا بجنوده فيها ! ياله من تسليم عجيب !

جونبول : ستعلمون غداً أن هذا لمصلحة راشيل

الدب الأحمر : (يستشيط غضباً) هذا شيء لا يطاق ! انظروا ما يقول هذا الرجل ! احتلال بلاد راشيل لمصلحة راشيل . . عدم الاعتراف بسيادة راشيل لمصلحة راشيل . . ما بقي على جونبول إلا أن يقول : ذبح راشيل لمصلحة راشيل ! أوه . . أ كاد أجن !.

جونبول : (بهدوء) هدىء من أعصابك قليلا يا هذا لعلى أستطيع أن أقنعك بأن اعترافكم هذا هو الذي سيقضي على راشيل وعلى ابن راشيل ، فإن كنتم تحبونها حقاً فاسحبوا هذا الاعتراف ودعوا هيئة الأمم المتحدة تواصل مساعيها للتوفيق بين الفريقين .

الدب الأحمر : مساع غير مجدية .

جونبول : من الخير أن تكون كذلك . . . من مصلحة راشيل أن تطول المفاوضات والمناقشات حتى تؤجل الدول العربية تنفيذ قراراتها العسكرية من حين إلى حين ربما يصير قرار التقسيم حقيقة واقعة فيصعب على العرب بعد ذلك إنكارها .

الدب الأحمر : من شاء منكم أن ينخدع بكلام هذا المنافق فليفعل . أما أنا فسأوعز إلى سفرائى فى مختلف بلاد العالم أن يعلنوا اعترافى بدولة إسرائيل . سأسبقكم جميعاً إلى هذا الشرف .

العم سام : هذا شرف لا يسبقنى إليه غيرى .

بنجوريون : (ينظر فى ساعته) : ويلكم .. الساعة الآن الحادية عشرة . لقد شغلتمونى بجدالكم هذا عن إعداد الكلمة التى سأذيعها الليلة على العالم . . سأسبقكم إلى قاعة الاحتفال (يخرج بنجوريون) .

راشيل : دعونى ألبس حالى وحليتى (تنهض) .

الدب الأحمر : ازدانى بها على رغم جونبول !

(٣)

فى قاعة الاحتفال حيث احتشد كبراء القوم . وقد بدت راشيل جالسة على أريكتها يحف بها العم سام والدب الأحمر وجواتيمالا والسفراء الآخرون . ويرى بنجوريون واقفاً أمام الميكروفون ليلقى كلمته :

جونبول : (ينهض من مجلسه) أيها السادة هل لى أن أنصحكم النصح الأخير؟

الدب الأحمر : كلا .. لن نسحب الاعتراف .. اهتفوا معى: يسقط جونبول ! .

الجميع : (يهتفون) يسقط جونبول !

جونبول : ليس هذا ما أريد أن أنصحكم به .

الدب الأحمر : فماذا تريد ؟

جونبول : أن تطفئوا هذه المصابيح الوهاجة فإنى لا آمن أن تطرقكم الآن غارة عربية من الجو !

الدب الأحمر : إن جونبول يريد أن يكدر صفو حفلتكم فاطردوه !

بنجوريون : سكوتا أيها السادة ! الساعة الآن الثانية عشرة تماما ... بعد دقيقة واحدة سأزف إلى العالم بشرى ميلاد مسيحنا الموعود وأعلن قيام دولة إسرائيل .. توجهوا بأبصاركم جميعا إلى وجه أمنا الكبرى راشيل الخالدة .

صوت : (يهتف) أرونا وجه الطفل الموعود ! نريد رؤية المسيح الموعود

الجميع : (يرددون) أرونا وجه المسيح الموعود ، نريد رؤية الطفل الموعود !

بنجوريون : هو الآن نائم في مهده يباركه إله إسرائيل . وغدا ترونه جميعا في الحفل الأكبر .

(تطفأ المصابيح فجأة)

راشيل : (تصيح) لا تطفئوا المصابيح الآن .. لم يحن وقت إطفائها بعد . أطفئوها في آخر الحفلة .

(تسمع صفارات الإنذار وأزيز الطائرات)

راشيل : (تصيح) ياويلنا .. ما هذه ؟

جونبول : هذه الطائرات المصرية .. قد أنذرتكم بها من قبل !

بنجوريون : آلو ! آلو ! هنا تل أبيب .. أنا دافيد بنجوريون أعلن للعالم قيام دولة إسرائيل ..

(تسمع أصوات انفجار القنابل)

بنجوريون : أدركونا يا محبي اليهود ! أغيثوا دولة إسرائيل .. هذه غارات العرب وهذه أصوات قنابلهم ! .. دولة إسرائيل في خطر !

جونبول : اقطع إذاعتك يا بنجوريون وإلا استهدفنا للخطر !

راشيل : (يسمع صوتها في الظلام) أين أنت ياعم سام ؟ ضمني إليك ... إني خائفة !

العم سام : أين أنت يا راشيل ؟

راشيل : أنا هنا فى مكانى ..

العم سام : هلمى إلىّ .. ضمينى إليك ..

راشيل : هأنذى .. ضمنى إليك .. إنى خائفة ..

العم سام : أين أنت يا راشيل ؟

راشيل : ألست العم سام ؟

الدب الأحمر : أما تعرفين ضمتى ياراشيل ؟ أنا الدب الأحمر !

« ستار »

معجزة إسرائيل

القاعة الكبرى فى قصر إسرائيل بتل أبيب . للقاعة بابان أحدهما (على اليمين) يؤدى إلى خارج القصر والآخر (على اليسار) يؤدى إلى داخله . ترى فى صدر القاعة أريكة راشيل . وقد جلس حول الأريكة جونبول والعم سام والدب الأحمر : ووقف بنجوريون يخدمهم ويلاطفهم .

الدب الأحمر : آمنوا به إن شئتم . أما أنا فلست خرافيا مثلكم !

بنجوريون : لقد شهدت المعجزة بعينك .

الدب الأحمر : نعم ولكنى لا أومن بخرافة طفلكم الموعود .

بنجوريون : فكيف تفسر كلامه فى المهد ؟

الدب الأحمر : سيكشف الفحص العلمى الدقيق سر ذلك عما قريب .

العم سام : إنما تنكر المعجزة حسداً لى لأنى كنت أول من اعترف بهذا الطفل فأنا أولى به منك .

الدب الأحمر : كلا بل أنا به أولى لأن اعترافى به واقعى لا خرافى .

العم سام : ماذا ترى يا جونبول ؟

جونبول : لا تدخلونى فى هذا الخلاف، فإنى لا أصدّق المعجزة ولا أكذّبها حتى تثبت الأيام صدقها أو كذبها .

(يدخل جواتيمالا من الباب الأيسر)

جواتيمالا : يا للعجب ! إنه للمسيحُ المنتظر حقا : لقد سمعته يتكلم فى مهده ... سمعته بأذنى هاتين ! .

الدب الأحمر : (ينهض من مجلسه) أريد أن أسمعه مرة أخرى لأتأكد من أمره

العم سام : (محتجا) لقد دخلت إلى مخدع راشيل ثلاث مرات اليوم . .

الدب الأحمر : عجباً ... ما شأنك أنت ؟ .

بنجوريون : دعه يا سيدى فلعل إله إسرائيل أن يهديه هذه المرة فيؤمن !
(يخرج الدب الأحمر) .

جونبول : (للعم سام) هذه حيلة منه للتردد على مخدع راشيل حتى يجتذب قلبها إليه ويستأثر بودها من دونك :

العم سام : يابنجوريون إنى أنذرك ... حذار أن يفسد الدب الأحمر قلبها علىّ

بنجوريون : لا تخف يا سيدى فأنت لراشيل الحبيب المفضّل ، وأنت لمسيحنا الحوارىّ الأول !

جواتيمالا : بل أنا الحبيب المفضل وأنا الحوارى الأول لا العم سام ولا الدب الأحمر .

جونبول : ياجواتيمالا أنصحك أن تلزم حدك ولا تتطاول على السادة الكبار !

جواتيمالا : أما زلت تعتبر نفسك من الكبار بعد ما تحديتك فى هندوراس ؟

جونبول : (يتضاحك) ولكن طرادتين صغيرتين كانتا كفيلتين باسكاتك !

جواتيمالا : سترى غداً كيف أؤلب العالم عليك !

جونبول : اخسأ !

بنجوريون : لا تختصموا أيها السادة . فأنتم فى أرض السلام وفى حمى المسيح المنتظر

الدب الأحمر : (يدخل) هذا الطفل أمره عجيب حقا بيد أن أمه أعجب وأمتع !

بنجوريون : لعلك يا سيدى آمنت الآن بالمعجزة !

الدب الأحمر : كلا . لا أستطيع أن أؤمن بالخرافات .

بنجوريون : ألا تظهر الإيمان يا سيدى ولو من أجل راشيل ؟

الدب الأحمر : ماذا يهم راشيل من إيمانى أو عدمه ؟

بنجوريون : أما ترى الجيوش العربية قد أصبحت تهدد عاصمتنا نفسها ؟

فستسحب الدول الصديقة اعترافها بدولة إسرائيل إن لم تنقذناه هذه المعجزة !

الدب الأحمر : هؤلاء المذبذبون قد يسحبون اعترافهم ، أما أنا وحاشيتي فلن نسحب اعترافنا أبدا ولو احتل العرب هذا القصر !

العم سام : وأنا لا أسحب اعترافي ولو وقعت راشيل نفسها في أيدي العرب !

جواتمالا : أنا أشد من ذلك ولاء . . لن أسحب اعترافي ولو نفّذ العرب تهديدهم فألقوها وقومها جميعا في عرض البحر ! !

بنجوريون : (ترجف شفتاه) يا للداهية ! ماذا يبقى إذن من دولة إسرائيل ؟

جواتمالا : سأعترف بها حينئذ دولة بحرية !

جونبول : عجبا لكم يا قوم تدّعون حب راشيل ثم تتطيّرون لها هذا التطير الفاحش . آه لو سمعتكم راشيل !

بنجوريون : ليحلنّ عليكم غضبها إذن .

العم سام : كلا لا تخبرها يا بنجوريون . . لا طاقة لي بغضب راشيل !

جواتمالا : هي تعلم جيدا أننا لا نريد لها إلا الخير .

جونبول : أفهذا الذي عنيتموه لها من الخير ؟

الدب الأحمر : ويلك يا جونبول ما أشد مكرك ! لقد أردت بهذا أن تظهر لراشيل أنك أشد حبا منا وإخلاصا .

جونبول : كلا ما خطر هذا ببالي قط .. وإنما عز عليّ أن تؤمنوا بمعجزة إسرائيل ثم تشكّوا هذا الشك الكبير في بقاء دولته !

العم سام : صدقت يا جونبول ، لا ريب أن إله إسرائيل الذي أظهر هذه المعجزة سيحمي دولته .

الدب الأحمر : أيها الرجعيون أما تقلعون عن الإيمان بهذه الوساوس والأوهام ؟

(يدخل موسيه شرتوك ومعه قسيس مهيب الطلعة) .

شرتوك : هذا مندوب الفاتيكان قد جاء لتشريف قصر إسرائيل .

(ينهض الجميع احتراما له ما عدا الدب الأحمر) .

بنجوريون : ألم يجىء أصدقاؤنا الآخرون بعد ؟

شرتوك : أخشى أن تكون الجيوش المحيطة بنا قد حالت دون وصول هؤلاء (يخرج) .

بنجوريون : مرحبا بمندوب قداسة البابا . إنه لتعطف عظيم من قداسته أن يبعث إلينا مندوبه الخاص .. تفضل يا مونسنيور.. تفضل . .

المندوب : (يجلس) إن قداسة البابا لم يوفدنى من الفاتيكان إلا لأطمئن له على سلامة المقدسات المسيحية .

بنجوريون : أجل . . قد أصبحت اليوم فى خطر بعد سقوط مدينة القدس القديمة فى أيدى المتوحشين العرب !

المندوب : كلا بل قد اطمأننت عليها اليوم . لقد أصبحت فى أيد أمينة . وقد أبرقت إلى قداسته بما شهدت .

الدب الأحمر : إن كنت تتحيز للعرب إلى هذا الحد فماذا جاء بك إلى قصر إسرائيل ؟ .

المندوب : جئت يا هذا لأشهد معجزة إسرائيل المزعومة لأرى هذا المسيح الكاذب الذى تبشرون به .

الدب الأحمر : أخشى إن رأيته أن تؤمن به لأنك رجعىّ مثل هؤلاء .

جواتيالا : لكنه يا مونسنيور مسيح صادق . . لا ريب أن هذا الطفل الذى ولدته راشيل هو المسيح المنتظر .

العم سام : المعجزة التى وعد بها إله إسرائيل !

المندوب : ياويلتنا . . لقد كفرتم بالسيد المسيح إذن

جواتيالا : أتريدنا أن نكذّب أسماعنا وأبصارنا ؟ لقد شهدنا الطفل الوليد يتكلم فى مهده ؟

المندوب : ويلكم . . هذه خدعة إبليس . . هذه فتنة اليهود أعداء المسيح

الدب الأحمر : هوّن عليك يا مونسنيور ، فلن يفلح هذا المسيح الجديد . إن

العالم كله يوشك أن ينبذ هذه الأفكار الرجعية كلها . وإنى أنصحكم يا رجال الدين أن تبحثوا من اليوم عن عمل آخر ترتزقون منه !

المندوب : اسكت أيها الملحد الكافر ، إن الدين سيبقى ما بقى الإنسان إنساناً ولن يكفر به إلا من صار حيواناً مثلك

الدب الأحمر : عجباً لك ، أتغضب منى أن هدمت لك هذا المسيح الجديد ؟ إذن فلتؤمن به مثل هؤلاء

المندوب : أمثالك يعلّمنى دينى يا كافر ؟

بنجوريون : اعذر الدب الأحمر يا مونسنيور فإنه ملحد لادين له ، ولكنى أقترح على سيدى أن يدخل معى إلى مخدع راشيل ليرى بعينه المعجزة .

المندوب : ويلك ياقوّاد .. أتدعو مثلى إلى مخدع مولاتك الفاجرة ؟

بنجوريون : لاتغضب ياسيدى فإن حاخامينا يدخلون عندها ويتبركون بها .. إنها قديسة !

المندوب : هذا دأبكم ... تجعلون فواجركم قديسات ... وما زلتم تحتفلون بعيد استير إلى اليوم .

جونبول : لا حق لكم يا قوم أن تثيروا غضب المونسنيور ، فعلى كل امرىء أن يرعى حرمة رجال الدين مهما كان مذهبه

المندوب : أنت يا جونبول تقول هذا وانت سبب هذه الفتنة المستطيرة !

جونبول : أنا يامونسنيور ؟

المندوب : نعم . أنت الذى جلبت أعداء المسيح من الآفاق ليدنّسوا هذه الأرض المقدسة .

جونبول : لقد وجدتهم مضطهدين يامونسنيور فرحمتهم برحمة المسيح الذى

يأمرنا بالعطف حتى على الأعداء ! يشهد الله ما قصدت بذلك إلا طاعة السيد المسيح .

المندوب : فهل من طاعة المسيح أن تقيم فى الأرض المقدسة ماخورا لراشيل تمارس فيه البغاء علانية لتجعل من ثمرة بغائها مسيحاً كاذبا تفتن به الناس عن إيمانهم بمسيحنا ولتبنى الهياكل على أنقاض مقدساتنا ؟ .

جونبول : كلا ليس فى نيتها أن تهدم المقدسات المسيحية .

المندوب : أليس فى نيتها أن تبنى هيكل سليمان ؟

جونبول : بلى ولكن على أنقاض المسجد الأقصى .

بنجوريون : ولن نمس المقدسات المسيحية بسوء .

المندوب : ويلكم . هل تبقى كنيسة القيامة والقبر المقدس وغيرهما إذا ذهب المسجد الأقصى ؟ .

الدب الأحمر : ياليتها جميعاً تمحى من الوجود ! هذه حصون الرجعية ، طوبى لمن يهدمها ويخلص البشر من شرورها وأوهامها .

جونبول : ألا تكف عن المجاهرة بإلحادك هذا أمام رجل الدين الصالح ؟

العم سام : هذا قلة ذوق .

جواتيمالا : يجب أن تراعى شعوره على الأقل .

المندوب : أنا لا ألوم الدب الأحمر على مساعدته لهؤلاء اليهود إذ تجمعه بهم عداوة المسيح وحب الكيد لدينه . . ولكن ما عذركم أنتم يامدعى الإيمان بالسيد المسيح ؟

جونبول : إننا نشكرك يامونسنيور على وعظك وإرشادك . حبذا لو تنصرف من هنا حتى لاتسمع أو ترى مايكدر خاطرك . هل لك يابنجوريون أن تأذن للمونسنيور بالانصراف ؟

بنجوريون : لامانع عندى إذا أحب .

المندوب : كلا . . لا أنصرف من هنا حتى أرى هذه المعجزة الوهمية وأظهر لكم زورها وبطلانها .

(تدخل راشيل متشحة بثوب سابغ فتحي مندوب الفاتيكان تحية خاصة ثم تجلس على أريكتها)

جواتيالا : (يدنو منها ويجذب ثوبها) ماهذا التحشم ياراشيل ؟ دعينا نستمتع !

راشيل : (تنهره) ويلك يا داعر . . ألا تحترم الناس ؟

الدب الأحمر : أنا على مذهب جواتيالا !

العم سام : وقاحة !

الدب الأحمر : نفاق !

راشيل : انظر إلى هذين يا مونسنيور . . أدعوهما إلى السلام ويأبيان إلا الخصام . لعلك يا سيدى أن تساعدنى فى إصلاح ذات بينهما من أجل سلام العالم .

المندوب : إن سلام العالم لا يبحث أمره فى ماخور .

راشيل : (تضحك ضحكة فاجرة) إن كنت يا سيدى جئت لوطر آخر فعلى الرحب والسعة !

المندوب : (غاضباً) ويلك يا فاجرة الأبد . إنما جئت لتفنيد المسيح المنتظر الذى زعموا انك ولدته !

راشيل : لقد ولدته حقا . أفتريد أن أدعو لك القابلة التى ولدتنى لتشهد لك أنه خرج من ...

المندوب : قطع الله لسانك ! ما أشك أنك ولدته من سفاح .

راشيل : هل كنت تطلب منى ياسيدى أن آتيك لتعقد لى على ثلاثة وثلاثين من مندوبى الدول واحداً بعد واحد فى ليلة واحدة ؟ هل كان فى وسعنا أن نفعل ذلك ؟

المندوب : يا للشناعة !

جونبول : اشرحي له الفكرة كلها يا راشيل حتى يدرك مغزاها !

الدب الأحمر : كلا يا راشيل ، لست مطالبة بتقديم حساب لهذا القس !

العم سام : اسكت انت . . دعها تشرح له المغزى العظيم

جواتيمالا : لعله يؤيدها ضد المتوحشين العرب

راشيل : يامونسنيور إن إله اسرائيل اقتضت حكمته أن ألد مسيحنا المنتظر من عصبة من الرجال يمثلون جميع الأجناس ، ليكون مشاعا بين البشر فتستجيب الشعوب كلها لدعوته العظيمة لإقرار السلام فى الأرض على أساس الالتفاف حول دولة اسرائيل دولة الدول .

العم سام : ما عدا شعباً واحداً هو الشعب العربى البغيض .

جواتيمالا : فيجب إبادته لوقوفه فى وجه اسرائيل

راشيل : حتى هؤلاء العرب دعوناهم فى أول الأمر إلى الإشتراك فى هذا الخير فاستكبروا وأبوا ثم أقبلوا من جميع أقطارهم يحاربون دعوتنا ويتحدّون إله اسرائيل . ولعلك الآن يا سيدى تقدر الرسالة العظيمة التى أديتها ولا تعدها سفاحا كما قلت

المندوب : بل هذا سفاح وزور وإجرام وكفر ! هذه فتنة المسيح الكاذب التى أنذرنا بها رهباننا الأولون ... طوبى للعرب إن تم لهم إنقاذ العالم من هذه الفتنة !

العم سام : لكن هذا ليس هو المسيح الكاذب الذى أشرتَ إليه ...

جواتيمالا : هذا معجزة إسرائيل ... هذا طفل يتكلم فى المهد !

المندوب : اسكتا أيها المحرومان !

الدب الأحمر : لا تخافا فلن يحرمكما هذا القس إلا من خير لا وجود له !

جونبول : ألا تأمرين باحضار الطفل ياراشيل لعل أبانا يرى رأيه فيه .

راشيل : لقد كذّب به قبل أن يراه .

جونبول : لا بأس أن تريه إياه فقد جاء لرؤيته

الدب الأحمر : لن أوسن به أبداً ولو آمن به هذا القس !

راشيل : أحضر الطفل الموعود يا بنجوريون .

بنجوريون : سمعا يا مولاتى (يخرج) .

جونبول : (لمندوب الفاتيكان) هل عثر رهبانا الأولون زمن ظهور المسيح الكاذب ؟

المندوب : إنهم أنذروا بمسيحين كذبة كثيرين كلهم من اليهود ، وقد ظهر بعضهم فيما مضى وبقى آخرون ، وهذا أحدهم لا محالة ، والله كبيرهم

جونبول : إذن فليس ثمة دليل قاطع على أن هذا منهم

المندوب : أتريد أن تتنصل من تبعة التمهيد لظهوره ؟ كلا إن التبعة لاصقة بظهرك إلى يوم القيامة .

الدب الأحمر : (لجونبول) إن كنت ياهذا خائفاً منها فألصقها بظهرى أنا إلى ذلك اليوم الذى لاوجود له ! (يقهقه) أودعها العم سام وألقها على عنقه الغليظ !

العم سام : بل فى بطنك أنت لتزيد بها حبلا على حبل !

الدب الأحمر : خنزير جبان بليد !

العم سام : دب خبيث وقح !

راشيل : لاتختصما فها قد جاء رسول السلام !

(تدخل جولدا ميرسون تحمل الطفل وقد كسى ثوبا عليه شارة إسرائيل والطفل يضطرب كأنما يحاول التملص من يدها) .

جواتيمالا : (يهتف) سلاما على المسيح المنتظر ! (يدنو منه ليقبله) هذا ابنى من صلبى ! لاشك عندى فى ذلك .

الطفل : (يلطمه لطمة قوية) لا أقام الله صلبك ! إليك عنى ياداعر !

جواتبالا : (يتقهقر عنه) أسمعته يامونسنيور كيف نطق ؟ إنه لطمنى تدليلا لى لأنى أبوه الحقيق !

المندوب : (يرسم علامة الصليب) .. ؟

العم سام : بل أنا أبوه الحقيق ، أنا أول من اعترف به قبل الإنس والجن ! (يدنو منه ليقبله) .

الطفل : (يفقأ بإبهامه إحدى عينيه) لاتلمسنى أيها الخنزير القذر !

العم سام : (يصيح صيحة منكرة) آه !.. لقد فقأ عينى ..

جونبول : لعله أراد تدليلك !

العم سام : كلا .. ماهكذا يكون التدليل .. هذا ولد عاق ! أواه لقد ذهبت عينى اليمنى !

جونبول : احمد الله إذ ترك لك العين اليسرى !

راشيل : لابأس عليك ياعم سام .. أسعفه يابنجوريون ..اربط له عينه !.

بنجوريون : سمعا يامولاتى ، هلم معى ياعم سام (يخرجان) .

المندوب : (بصوت خافض وهو يرسم علامة الصليب) لقد صدق الرهبان الأولون .. إنه يضر مناصريه !.

جونبول : (للدب الأحمر) ألا تدنو أنت لتقبّله لعله أن يكون ابنك !

الدب الأحمر : هو ابنى من صلبى ، ولكنى لا أومن به ولن أومن به أبدا .

جونبول : لاتؤمن به ولكن قبّله !

الدب الأحمر : كلا !

جونبول : أتخاف من هذا الطفل ؟

الدب الأحمر : بل أخشى إن ضربنى أن أضربه فتغضب منى راشيل ؟.

راشيل : (يلمع فى وجهها الحقد) كلا لن أغضب ولو قتلته !

جونبول : (ينظر إلى راشيل نظرة زاجرة) راشيل ! إن الأطفال لايقتلون !

جواتبالا : إلا أطفال العرب فقد قتلهم الهجاناه وحقّ لهم ذلك .

راشيل : ويلكم .. هل ترضى أمٌّ بقتل طفلها ؟ إنما قلت ذلك لأن الطفل الموعود لايستطيع قتله أحد .

الدب الأحمر : لو شئت لقتلته بضربة واحدة فأبطلت لكم هذه المعجزة !

جواتبالا : ألم تؤمن به بعد ؟

الدب الأحمر : كلا ! .

جواتبالا : فكيف تفسّر كلامه فى المهد ؟

الدب الأحمر : ربما رُكّب فيه جهاز فنوغرافى سرّى من صنع أحد العلماء الألمان الذين استولى عليهم جونبول ! .

جواتبالا : (يقهقه قهقهة ضخمة) لقد ظننتك على شىء من العقل فاذا أنت مثل..

الدب الأحمر : مثل من يالُكع ؟

جواتبالا : مثل الخنزير الأعور !

(يعود بنجوريون ومعه العام سام معصوب العين فيجلسان)

جواتبالا : (للمندوب) ان الطفل ينظر إليك يا أبانا !

المندوب : أدنوه منى

راشيل : (مضطربة) كلا يا سيدى ، أخشى أن تمتد يده إليك بسوء

الدب الأحمر : دعيه يجرّب حظه . .

المندوب : (يرسم علامة الصليب) لابأس علىّ منه (يبسط يده إلى الطفل) باسم الله وباسم الروح القدس (يضمه فى حجره)

العم سام : عجبا !

جواتبالا : لقد آمن أبونا بالمسيح المنتظر ! لقد آمن بابنى وابن راشيل !

الطفل : (بصوت هادىء رزين) أيها الأب الصالح إنى لست ابن هذه اليهودية العاهرة . .

راشيل : (تصيح) احمليه ياجولدا . . أبعده من هنا يا بنجوريون !

المندوب : دعينا ويلك نسمعه !

الطفل : ولست مسيح اليهود الكاذب ، ولست طفلا صغيراً يتكلم في المهد . .

جواتيمالا : لقد بدأ الطفل يخرف . .

الدب الأحمر : اسكت ويلك . . دعه يتم حديثه . . لقد أوشك سر المعجزة أن ينكشف !

الطفل : أجل . . ليس في الأمر معجزة . . أنا رجل عربي

جواتيمالا : رجل !

العم سام : عربي ! لهذا فقأ عيني . . هذا المتوحش !

الدب الأحمر : اسكتوا جميعاً !

الطفل : ولدت منذ ثلاثين سنة من أب عربي مسلم وأم عربية مسيحية فاختطفني . .

جون بول : (مقاطعاً) أتصدقون مثل هذا المحال ؟ أين ذهبت عقولكم ؟

الدب الأحمر : اسكت ويلك

الطفل : فاختطفني جون بول هذا بعد ما قتل أبوي ثم قمطني فمنع جسمي من النمو فبقيت كما ترون . . وجاء بهذه العاهرة فتمتع بها الماخور في هذه الأرض المقدسة أرض آبائي وأجدادي (يجهش باكيا)

المندوب : تبارك الله وتقدس اسم السيد المسيح !

راشيل : (تصيح) لا تصدقوه !

المندوب : إن صدقناه فأنت كاذبة وإن كذبناه فأنت كاذبة !

راشيل : كلا فان من علامات مسيحنا المنتظر أن ينكر أباه وأمه . . سلوا الحاخام أبا هيل سلفر يخبركم . . سلوا حاخامي اليهود جميعاً يؤكدوا لكم صدق ما أقول . . إنه المسيح المنتظر ، وهو ابني ، وأنا أمه ، ولدته عشية الجمعة ١٤ مايو . . هذه جولدا ميرسون تشهد لكم أنه خرج من . . .

جولدا : أجل أقسم بإله اسرائيل انه خرج من . . سأريكم من أين خرج هذا المولود . . (تدنو من راشيل)

جونبول : ويلك ماذا تريدين أن تصنعى يا جوللا ؟

جوللا : سأريكم من أين خرج هذا الطفل . .

المندوب : ياللخزى والسوء !

جونبول : (يحول دون ذلك) كلا لا تفعلى يا مجنونة !

راشيل : إن شئتم أن تتأكدوا فلا بأس . .

المندوب : (يرفع بصره إلى السماء) يا إلهى احبس عنا عذاب سدوم !

الطفل : إن شئتم أن تروا الطفل الذى ولدته هذه العاهرة لتجعله ملك اسرائيل فاقصدوا الحجرة التى خلف مخدعها تجدوه !

العم سام : أجل . . طالما سمعت أنينه من المخدع . . ويح ابنى تتركه أمه لتتبنى هذا العربى المتوحش ! سآتيكم بابنى الحقيقى لتروه (يخرج منطلقا)

الدب الأحمر : بل هو ابنى أنا لا ينازعنى فيه أحد (يعدو خلفه ويخرج)

جواتيمالا : بل أنا أبوه . . هو من صلبى !

راشيل : (تصيح) ياجونبول أغثنى ياجونبول . . تدارك الأمر !

جونبول : (يأخذ بتلابيب جواتيمالا فيجذبه بشدة فيرمى به على الأرض) ابق هنا يا نذل !

راشيل : أدرك الآخرين !

جونبول : لا أقدر ياراشيل . قد انطلقا كالمجانين .

جواتيمالا : (يمسح الدم عن رأسه من أثر السقطة ويبكى) أسدّ علىّ وأمام الآخرين نعامة ..

جونبول : كيلا تتحدانى فى هندوراس مرة أخرى !

بنجوريون : (لجواتيمالا) هلم معى لأعصب لك رأسك .

جواتيمالا : (ينتحب انتحابا متقطعاً) كلا . . سأرى ابنى أولا . . لا أدع أحداً يأخذ ابنى منى ! إنه ابنى ياراشيل . أنت تعرفين ذلك ! !

(يدخل العم سام ضاما إلى صدره مضغة من اللحم الأحمر الضارب للسواد ، وخلفه الدب الأحمر يحاول سدى أن ينزعها من قبضته)

جوانيالا : هذا ابنى . ارفقا به . لاتقتلاه بهذا الضغط .

(يسمع صياح المسخ كأنه قباع الخِنَّوص)

راشيل : (تصيح) ياولداه !

بنجوريون : رفقا به ياهذان . أماترحمان بكاءه ؟ هذا مجداسرائيل . حذار من غضب إله اسرائيل . !

الدب الأحمر : (بصوت أجش) أنا أبوه . إن لم يتركه لى هذا الخنزير البليد فليمت ملك اسرائيل فى يده ولا أبالى ! أنا لا أومن بإله اسرائيل ولا غيره !

راشيل : واولداه ! واجد اسرائيلاه ! (يكاد يغشى عليها فتسندها جولدا وتضمها) .

جوانيالا : اتركاه لى . إنه ابنى . كلا . ليس هذا بابنى ..ويلاه ! ماهذا ؟ هذا مسخ مخيف الصورة !

الدب الأحمر : (يكف عن مجاذبة العم سام) ياللهول !

جونبول : (للمندوب) ألا تعجب لهؤلاء يامونسنيور . يتنازعون عليه قبل أن يروا حقيقته !

العم سام : (يرفع فمه عن فم المسخ) ماذا تقولون ؟

جوانيالا : انظروا . هذا الدود يتساقط من فمه !

العم سام : من فم من ؟

الدب الأحمر : من فمك أنت ياقذر !

العم سام : (يتأمل فيما يحمله) ويلتا . فمه مملوء دوداً !

(يلقيه على الأرض فتظهر بشاعته للجميع)

الدب الأحمر : لاتلقه . إنه ابنك . إنه نطفتك . هنيئاً لك به !

العم سام : (يتهوع ويقىء ويمسح فمه بكمى سترته) كلا . بل هو ابنك أنت . هو أحمر العينين مثلك !

الدب الأحمر : بل هو يشبهك ! هذه ملامحه البليدة مثل ملامحك .

جواتيمالا : يالفظاعة . إنه يشبهكما معا !

الدب الأحمر : (يأخذ بتلابيبه) بل هو ابنك أنت يالكع ! هذا من أثر الزهري الذى عندك !

العم سام : أجل هذا أبوه الحقيقى . هذا صاحب الزهري المزمن !

الدب الأحمر : (آخذا بتلابيب جواتيمالا) ساعدنى ياعم سام . ارفع ابنه إليه ليقبّله .

جواتيمالا : (يصيح) كلا ! كلا ! .

العم سام : (يرفع المسخ فيلصق فمه بفم جواتيمالا) ذق من هذا الدود اللذيذ

بنجوريون : ويلكما انكما ستقتلان مجد اسرائيل (يجذب المسخ من يد العم سام ويضعه فى حجر راشيل)

راشيل : (تفيق من غيبوبتها) ياولداه ! ياقرة عيناه !

جواتيمالا : (يتهوع ويقىء) لعنة الله على بلادى ! لو كانت دولة كبيرة لما استأسد هؤلاء علىّ !

الدب الأحمر : لاتتهوع . هذا الدود من نتاج الزهري الذى عندك

جواتيمالا : لست مصابا به وحدى . أنتما مصابان به مثلى! اكشفا عن سوءتيكما إن كنتما منكرين . . وراشيل أيضا مصابة . . اكشفوا عنها .

جونبول : اسكت ياندل . . إن الله يحب الستر (يلتفت إلى المندوب) أليس كذلك يا أبانا ؟

المندوب : لاتلوث اسم الله ياجونبول !

جونبول : ما ذنبي أنا يامنسنيور ؟

المندوب : إن الله لمثير هذه الفتنة لبالمرصاد !ه

جونبول : لقد نفضت يدى منها وتبت إلى الله .

المندوب : أبعد أن دنّست الأرض المقدسة ؟ هيهات !

الدب الأحمر : ويلكم . ما جئنا لسماع المواعظ الرجعية ! لسنا هنا في المسجد الأقصى ولا في كنيسة القيامة .. هذا قصر اسرائيل في تل أبيب !

المندوب : (ينهض واقفاً وهو يضم الطفل العربي إلى صدره (أجل . . . هذه أخت سدوم ، وإني لأخشى أن أشهد فيها عذاب سدوم !

بنجوريون : (غاضباً) اخرج من هنا ! اخرج من قصر اسرائيل !

المندوب : هأنذا خارج . .

بنجوريون : هات هذا الذي معك !

الطفل : (يتشبث بالمندوب) : كلا أيها الأب الصالح لا تسلمني لهذا اليهودي . . إنه سيقتلني .

الدب الأحمر : سلّمه لي !

العم سام : أنا أولى به . . عندي بترول قومه

الطفل : كلا لا تسلّمني إلى هؤلاء الكفرة الفجرة .

جونبول : لا تسلمه لأحد من هؤلاء يامنسنيور . . سأتولاه أنا وأعنى به . أنا وليه باعترافه هو !

الطفل : كلا . إياك أن تسلمني لهذا الخائن المنافق ! سلمني لأحد أعمامي . أتوسل إليك .

المندوب : اطمئن يابني . . . لن أسلمك إلا لأحد أعمامك .

جونبول : دعني أسلمه لأحد أعمامه فاني صديقهم !

المندوب : كلا !

جونبول : إني ياسيدي أحترم قداسة البابا ، ولكن يجب أن تعطي ما لله لله وما لقيصر لقيصر !

المندوب : فهذا لله ياجونبول !

العم سام : دعه لجونبول يامنسنيور فهو أحق به .

الدب الأحمر : كلا . . إما أن تتركاه لهذا القس وإلا فأنا أولى به !

بنجوريون : ماذا تنتظر ياهذا القس ؟ اخرج من قصر اسرائيل !

المندوب : هأنذا خارج . . . انى أشم رائحة العذاب !

بنجوريون : (يلهث من الحقد) لن ينزل العذاب إلا على أعداء اسرائيل ! على مكة وروما ! نحن شعب الله المختار . . سيحمينا إله اسرائيل ويهلككم أجمعين !

(يسمع أزيز الطائرات ثم دوى القنابل)

راشيل : (تفيق من غيبوبتها) ما هذا يا جولدا ؟ احملونى إلى المخبأ ... احملوا مجد اسرائيل !

(يحملان راشيل وابنها المسيخ ويخرجان بهما)

العم سام : خذونى إلى المخبأ معكم ! (يخرج)

جوانيالا : خذونى أنا أيضا ! (ينطلق)

المندوب : لطفك يا إلهى . باسم المسيح احمنا من عذاب سدوم

الطفل : باسم المسيح ومحمد !

المندوب : أجل ... باسم محمد والمسيح احمنا اللهم من العذاب !

الدب الأحمر : (لجونبول) أتصلى أنت أيضا يا منافق ؟

جونبول : (بصوت خافت) دعنى ... لست كافراً مثلك ؟

(يتوالى دوى القنابل الثقيلة)

المندوب : باسم محمد والمسيح احمنا اللهم من عذاب سدوم !

الدب الأحمر : أى عذاب يا هذا ؟ إنما هذه قنابل العرب !

المندوب : صلى لله معنا ... إن قنابل العرب لهى صواعق الرب !

« ستــــار »

بين أطلال ألبانيا

(١)

في منزل الرفيق تروفسكي القوميسار الروسى بتيرانا عاصمة ألبانيا .
(تروفسكي وزوجته نفتاليا) .

نفتاليا : (عابسة) لكأني بأوامر موسكو تصدر بنقلك ! .

تروفسكي : لينقلوني حيثما شاءوا فإني لا أبالي .

نفتاليا : كأنك لا تقدر ما أنت فيه من النعمة هنا في ألبانيا .

تروفسكي : أما يزال كابوس الشظف الماضي يزعجك يانفتاليا ؟ إن كنت خائفة على حياة البذخ هذه فاعلمي أنها ستتبعنا أينما كنا من البلاد الدائرة في فلكنا الأحمر !

نفتاليا : وإذا نقلوك إلى سيبيريا ؟

تروفسكي : سيبيريا ! كلا لن يحدث شيء مما تخشين .

نفتاليا : هل نسيت أنك كنت من المشكوك في ولائهم للمارشال ستالين وأنهم نقلوك إلى هنا ليختبروك ويبلوا نشاطك في خدمة الكومنترن ؟

تروفسكي : إن نشاطي في ذلك فوق الشبهات . .

نفتاليا : أي نشاط يا رجل ؟ لك الآن ستة شهور في ألبانيا ولم تصطد في خلالها من أعداء الشيوعية إلا عدداً لا يذكر . .

تروفسكي : أنسيت حمزة زاده الذي أرسلته إلى المشنقة أول من أمس ؟

نفتاليا : ذاك الشيخ الهرم الذي وجدت عنده عشرة جنيهات ذهبا ؟

تروفسكي : نعم .

نفتاليا : أعظم به من صيد يليق بمقامك العظيم ! انظر إلى أنور خوجه كيف يصطاد المئات في الأسبوع !

تروفسكى : مالى ولأنور خوجه ؟ هذا انتهازىّ ألبانىّ محتاج لدوام ثقة الكرملين به ، فهو يسعى دائما ليضاعف تلك الثقة بالقبض على أكبر عدد من مواطنيه !

نفتاليا : أنت أحوج إلى ثقة الكرملين منه . أنت مهدد فى كل لحظة بالنقل

تروفسكى : دعهم ينقلونى فقد كرهت هذه البلاد .

نفتاليا : أين تجد أجمل من ألبانيا ؟

تروفسكى : هى عندى أقبح من وجه الشيطان .

نفتاليا : لا أدرى ماذا كرهت فيها وقد كنت تحبها من قبل ؟

تروفسكى : فقد سئمتها الآن .

نفتاليا : لكنى لا أزال أحبها . وما أحسبنى أسأمها أبدا .

تروفسكى : وإذا نقلونى ؟

نفتاليا : فسأسعى للبقاء هنا وحدى عقابا لك على تفريطك فى تدعيم مركزك ! (تبتسم) .

تروفسكى : أإلى هذا الحد تعشقين هذه البلاد ؟

نفتاليا : إنها جميلة يا تروفسكى . كل شىء فيها جميل (تدنو منه فتعانقه) أتوسل إليك يا رفيقى العزيز أن تحبها من أجلى وتعمل على تدعيم مركزك .

تروفسكى : أنا لا أستطيع أن أجارى أنور خوجه فى عدد صيوده على كل حال . ذاك عمل مرهق .

نفتاليا : الكيفية أهم من الكمية .

تروفسكى : ماذا تعنين ؟

نفتاليا : اعمد إلى أحد كبار رجال الدولة فاجعله صيدك .

تروفسكى : أنور خوجه مثلا ؟

نفتاليا : كلا . . هذا البهلوان الكبير يصعب إسقاطه من على الحبل فى الوقت الحاضر . . ولكن عليك بسيف الله ماليشوفه .

تروفسكي : ذاك أكبر مقاما من أنور خوجه .

نفتاليا : أجل ، ولكن نشاطه الأحمر قد قل فى العهد الأخير .

تروفسكي : ليس من السهل اصطياد هذا السياسى العبقرى .

نفتاليا : استعن عليه بأنور خوجه .

تروفسكي : ما أحسب أنور يرضى أن يوقع بصاحب الفضل الأكبر عليه .

نفتاليا : أذكر أنى حدثتك بقصة السترة التى سرقها أنور من زميله حين كانا فى بلجيكا .

تروفسكي : (يضحك) نعم نعم . . إنها قصة مضحكة .

نفتاليا : فاذكرها لأنور وقل له إن الذى رواها لك قد سمعها من ماليشوفه ، وبذلك توغر صدره عليه .

تروفسكي : أواثقة أنت من صحة إسنادها إلى سيف الله ماليشوفه ؟

نفتاليا : نعم . .

تروفسكي : من الذى حكاها لك ؟

نفتاليا : جاسوسى الخاص

تروفسكي : من هو ؟

نفتاليا : (ترتبك قليلا ثم تصنع الابتسام) هذا سر من أسرار الدولة يا عزيزى لا أستطيع أن أكشفه لأحد .

تروفسكي : (يتمعر وجهه) من أسرار الدولة . !

نفتاليا : اعذرنى يا رفيق العزيز فإنه جاسوس نادر المثال ، إن كشفته فلن أعثر لى على جاسوس خاص مثله أبداً

(٢)

فى منزل أنور خوجه

أنور : إنى أشكر لك هذه الزيارة الكريمة على كل حال . .

تروفسكى : ماذا يفيدنى شكرك وقد رفضت اقتراحى ؟

أنور : والله لو طلبت أى شخص آخر لأجبتك . . أما سيف الله ماليشوفه الذى لولاه لما توطدت قواعد النظام الأحمر فى هذه البلاد فكثير علينا جداً أن نصطاده .

تروفسكى : (يتحرك فى مقعده) يبدو أن أحدنا إذا استاء أو غضب يزداد شعوره بالحر ، فهل تأذن لى أن أخلع هذه السترة عنى ؟ .

أنور : (ينهض) تفضل يا سيدى القوميسار ... دعنى أساعدك .

(يساعده فى خلع سترته)

تروفسكى : أشكرك ... دعها هنا معى .

أنور : سأعلقها لك على المشجب (يعلقها) .

تروفسكى : (يندفع مقهقها) هى، هى، هى، هى، .

أنور : (يقبل عليه) ماذا يضحكك يا سيدى القوميسار ؟ .

تروفسكى : هى، هى، هى، هى، ...

أنور : ألا يعجبك هذا المشجب ؟ أتظنه مطليا بالدهان الأسود ؟ كلا ياسيدى القوميسار ... هذا مصنوع من الآبنوس الفاخر الغالى الثمن ! .

تروفسكى : هى، هى، هى، هى، . ليس المشجب هو الذى أضحكنى .

أنور : كل شىء هنا ثمين . هذه البُسُط وهذه الكراسى وهذه الثريات . . إنى مغرم بكل متاع جيد

تروفسكى : معذرة أيها الرفيق فقد ذكرنى خلع السترة قصة مضحكة سمعتها هنا فى بلادكم .

أنور : أى قصة ؟

تروفسكى : قصة موظف ألبانى كان يقيم مع زميل له خارج ألبانيا فسرق سترة زميله وهرب بها إلى بلاده !

أنور : (يتغير وجهه ولكنه يتكلف الابتسام) من حدثك بهذه القصة ؟

تروفسكى : شاب ألبانى ؟

أنور : من هو ؟

تروفسكى : ماذا تريد أن تصنع به ؟

أنور : سأريه كيف أؤدبه !

تروفسكى : على أن روى هذه القصة ؟ .

أنور : نعم ، لقد مس هذا النذل كرامة الشعب الألبانى بأسره !

تروفسكى : لا ذنب له ، إنه سمعها من أكبر رجالكم مقاما ، من سيف الله ماليشوفه . ألم تسمع بهذا الحادث قط ؟

أنور : (مرتبكا) لا ، أين وقع ذلك ؟

تروفسكى : أظنه قال لى : فى المفوضية الألبانية ببلجيكا حيث كان السارق والمسروق منه يشتغلان كاتبين هناك ... وأظنه قال لى أيضا إنك تعرف ذلك الكاتب وإنك قتلته بتهمة عدم إخلاصه للنظام الأحمر !

أنور : ها . . لقد تذكرته الآن !

تروفسكى : وكانت التهمة غير صحيحة ولكنك امقتها عليه لتتخلص منه !

أنور : نعم فعلت به ذلك انتقاما منه لأنه ارتكب هذا العار الذى تأباه النفس الألبانية والتقاليد الألبانية !

تروفسكى : لكن راوى القصة أخبرنى أنك قتلت المسروق منه لا السارق !

أنور : أجل . . قد قتلت المسروق منه أيضا بعد ذلك إذ تبين لى أنه من أعداء النظام الحاضر

تروفسكى : اسمع ياصديق . . انى عمدت معك إلى أساليب المداورة خشية أن

أجرح شعورك . بيد أن الصداقة تقتضينى الآن أن أصارحك بأن ماليشوفة يزعم أنك السـ . .

أنور : (يحمر وجهه وتنتفخ أوداجه) كذاب ! إنه ألصقها بى ليسيء إلى سمعتى . . حذار أن تصدق مثل هذا البهتان . .

تروفسكى : هوّن عليك يارفيق ، فهى قصة مضحكة على كل حال

أنور : إن الناس هنا مغرمون بتلفيق الحكايات ، فإذا صدّقت هذه القصة فعليك أن تصدّق أخرى لا تقلّ عن هذه بعدا عن الحقيقة

تروفسكى : ماهى ؟ أطرفنى بها . .

أنور : ربما لايسرك سماعها

تروفسكى : (يبدو عليه الاهتمام) مضحكة كهذه ؟

أنور : كلا . . بل هى مبكية !

تروفسكى : مبكية !

أنور : إنهم يتحدثون عن علاقة غرامية بين شاب ألبانى وزوجة موظف روسى كبير !

تروفسكى : (يربد وجهه) هل تعرف ذلك الشاب ؟

أنور : نعم أعرفه إنه شاب جميل الصورة

تروفسكى : من هو ؟

أنور : ماذا تريد أن تصنع ؟

تروفسكى : سأؤدبه لتطاوله وجرأته !

أنور : يقولون إنها هى التى أكرهته فلا ذنب له . . هوّن عليك ياسيدى القوميسار فما أكثر ما يقول الناس !

تروفسكى : (ينظر إليه مغضبا) دعنى من هذه المداورة . . لقد فهمت أنك تقصدنى (يأخذ بتلابيبه) ورأس ستالين لئن لم تدلنى على ذلك الشاب لألحقن السارق بالمسروق منه !

أنور : سمعا ياسيدى القوميسار . أرسل عنق . سأدلك عليه

ترونسكي : (يرسل عنقه) من هو ؟

أنور : إيلي كاباش ، قريب الأب كامانس وخطيب أخته

تروفسكي : (يزفر زفرة الحقد) ها . قد عرفته !

أنور : إن أردت سيف الله ما ليشوفه الآن فإنى مستعد لاصطياده

تروفسكي : لعلك تطمع أن تنسب هذا العمل إليك فى التقرير المرفوع إلى موسكو ؟

أنور : بالطبع ياسيدى القوميسار

تروفسكي : كلا . سيكون ماليشوفه صيدى أنا فى التقرير

أنور : لكن ...

تروفسكي . سأترك لك فضل اصطياد ايلى كاباش إن شئت ...

أنور : حسنا ياسيدى .. اتفقنا .

(٣)

حجرة الاستقبال فى منزل أنور خوجه

(يدخل أنور ومعه سيف الله ماليشوفه)

ماليشوفه : (يرتمى على أحد المقاعد) قصر بديع يا أنور وذوق جميل !

أنور : إنك ياسيدى لما تشاهد كل حجرات القصر ... هلم معى لأريك الجناح الثانى .

ماليشوفه : (متضايقا) حسبى ما رأيت يا بنى .

أنور : لا تتحرج ياسيدى فليس فى القصر اليوم أحد .

ماليشوفه : أعفنى يا بنى فإنى اليوم متعب . هلم فاجلس وقل لى ما الأمر الهام الذى دعوتنى من أجله ؟

أنور : (يجلس قريباً منه) أتعاهدنى يا سيدى أنك لا تنقل حديثى إلى أحد ؟

ماليشوفه : إن كنت تخشى على نفسك منى نخير لك أن تكتم حديثك .

أنور : كلا ولكن ليطمئن قلبي .

ماليشوفه : فليطمئن قلبك .

أنور : بشرف ألبانيا ؟

ماليشوفه : (يتنهد) بشرف ألبانيا ... إن ...

أنور : أجل ... إن بقي لها شرف !

ماليشوفه : حذار يا أنور أن تزل قدمك !

أنور : علام الخوف ؟ لقد زلت أقدامنا جميعاً فوقعنا إلى الحضيض .. إن هؤلاء الحمر قد صيرونا في بلادنا عبيداً لهم !

ماليشوفه : أهذا هو رأيك ؟

أنور : ألست ترى هذا معى ؟ لا يوجد ألباني واحد يشك في هذه الحقيقة .

ماليشوفه : ولكنهم لا يقولون ما تقول ... حذار يا أنور

أنور : مم أحذر بعد ؟ لقد أصبح هلاكي اليوم محققاً

ماليشوفه : ماذا تقول ؟

أنور : استدعاني القوميسار أمس وأبلغني أمراً ورد إليه من موسكو بسفرى إليها في خلال يومين ، إنهم سيقتلونني هناك لا محالة

ماليشوفه ، هل نقموا منك شيئاً ؟

أنور ، لا أدرى ... وهل يدرى أحد متى يغضب هؤلاء الحمر ومتى يرضون ؟ لكني أستأهل كل ما يصيبني ، لقد مالأتهم على بلادى وأمتى ...
(يجهش بالبكاء) لقد خدعت ! لقد خدعت !

ماليشوفه ، لا تبتئس يا أنور فلست وحدك المخدوع

أنور ، لكني المجرم الأول ! أعتبر نفسي المجرم الأول !

ماليشوفه ، (تغرورق عيناه بالدموع) بل أنا المجرم الأول .. أنا المسئول الأول ... أنا الذى خدعت قومى ودعوتهم بخطبى ومقالاتى إلى تأييد

الحمر . وصوّرت لهم أن النظام الشيوعى سيجعل ألبانيا جنة فى الأرض فهاهو ذا قد قلبها جحيما ، هاهم أولاء الحمر قد ظهروا على حقيقتهم وانكشف ما بيّتوه لهذا الشعب . إنهم يعملون على إبادته بطرق دقيقة محكمة ليُحلوا محله العنصر السلافى . إنهم يريدون ألبانيا خالية من الألبانيين ! ومهما يخلص لهم الألبانى ويتفان فى خدمتهم فلن ينسيهم ذلك أنه من العنصر الذى يجب استئصاله إن لم يكن غداً فبعد غد ... (يتلفت يمنة ويسرة) حذار يا أنور ... إن الحيطان لها آذان ...

(يدخل تروفسكى فجأة)

تروفسكى : مرحى يا ماليشوفه !

ماليشوفه : (يلتفت إلى أنور خوجه) ويلك من سافل دنىء !

أنور : خائن كبير !

ماليشوفه : صدقت !

تروفسكى : إن سيبيريا تنتظرك يا سيفَ الله ماليشوفه !

ماليشوفه : (يعود إلى تماسكه) بل تنتظركما أنتما ... لا تحسبانى سهل الاصطياد بهذه الدرجة . سأكتب تقريراً إلى موسكو بخيانتكما وغدركما بالخاصين للاتحاد الأحمر

أنور : هيهات يا ماليشوفه هيهات !

ماليشوفه : سأشكوكما إلى الماريشال ستالين وسأبيّن له ائتماركما بى فلا تحسباه يصدّقكما ويكذّبنى !

تروفسكى : سنبعث بك إلى موسكو وبالاسطوانة معك ، وللماريشال ستالين أن يصدقها أو يصدقك !

أنور : هل تحب أن تسمع الاسطوانة التى سجّلنا عليها كلماتك العذبة ؟

ماليشوفه : عندى وثائق تثبت على كل منكما الارتشاء والاتجار فى السوق السوداء . لأطلعن الماريشال ستالين عليها إن لم تكفا عنى !

تروفسكى : قد أمرنا رجالنا بالاستيلاء على جميع أوراقك . فإن تكن تلك الوثائق بينها فهى فى قبضتنا الآن !

أنور : لن تجديك حيلتك ولا عبقريتك شيئا . ولا مناص لك من الاستسلام المطلق

ماليشوفه : أيها الوغد الآثم سيأتى قريباً دورك !

أنور : يضحك إذن فانتظرنى فى سيبيريا حتى آتيك !

ماليشوفه : لكى تسرق سترتى أيها اللص القديم ؟

أنور : إن تركوا على جلدك سترة هناك أيها الخائن العظيم !

تروفسكى : اطمئن يا ماليشوفه فلن يعرف الشعب شيئا عن خيانتك . سنشيع فى أنحاء البلاد أن الماريشال ستالين قد تعطف عليك فأعفاك من أعباء وظيفتك وأعطاك إجازة تقضيها فى موسكو .

ماليشوفه : بل دعوا الشعب يعلم خيانتى لكم . . . لعله يغفر لى خيانتى له ولوطنه . . دعوه يتعظ بمصيرى أنا الزعيم المخدوع !

(٤)

فى منزل القوميسار تروفسكى

نفتاليا : (تتلقى زوجها عند الباب) أين غبت طول اليوم والليلة ؟ هل كنت فى رحلة ؟ لماذا لم تخبرنى ؟

تروفسكى : ما غبت يا حبيبتى إلا فى سبيلك .

نفتاليا : ماذا تعنى ؟

تروفسكى : لقد آليت على نفسى ألا أعود إلى المنزل إلا بعد تنفيذ رغبتك .

نفتاليا : اصطدت ماليشوفه ؟

تروفسكى : تماما كما اقترحت .

نفتاليا : (تعانقه) خذ منى قبلة . . جزاء هذا النشاط العظيم !

تروفسكى : هاتى قبلة أخرى فقد ظفرت أيضاً بصيد آخر !

نتاليا : عظيم ! (تقبله) ترى من هو ؟

تروفسكى : شاب خطر يدعى ايلى كاباش !

نتاليا : (مرتاعة) من ؟

تروفسكى : إيلى كاباش

نتاليا : (متجلدة) ماذا صنع هذا الشاب ؟

تروفسكى : ضبطنا فى جيبه أوراقا معادية .

نتاليا : (ثائرة) كلا .. لابد أنك وضعتها فى جيبه كيدا له !

تروفسكى : عجباً ، أتعرفينه ؟

نتاليا : نعم هذا شاب مخلص للحُمر !

تروفسكى : قد يكون مخلصا لخدودك الحُمر أو لشفاهك الحُمر ، بيد أنه مع الأسف الشديد خائن لنظام الحكم الأحمر فاستوجب الإعدام !

نتاليا : تباً لك من غيور جبان ! لأحتجن لدى موسكو على هذا الظلم الصارخ ! لأشهدن عليك بأنك اغتلت هذا المخلص الأمين انتقاماً لنفسك من أجل غيرتك العمياء !

تروفسكى : حذار أن تفعلى هذا فتمسك تهمة الاشتراك معه فى الخيانة لأنه عشيقك !

نتاليا : نذل جبان !

تروفسكى : هاتى يا حبيبتى قبلة ثالثة !

نتاليا : اخسأ يا نذل .. إليك عنى !

تروفسكى : لقد ظفرت بصيد ثلث . . أفلا تكافئين نشاطى ؟

نتاليا : لا يهمنى بعد الآن نشاطك أو خمولك .

تروفسكى : هذا صيد يهمك أمره . . لقد خلصتك من غريمك .

نتاليا : من ذا تعنى ؟

تروفسكى : خطيبة المرحوم ايلى كاباش . . أخت الأب كليمانس .

نتاليا : أقتلتها أيضاً ؟

تروفسكي : ويلك . . كيف أقتل مرجريت ؟ هي التي قتلتني ! إني لأعجب كيف كان ابلي كاباش الأفون يتودد إليك وعنده مثل هذه الوردة اليانعة ؟

نفتاليا : هنيئاً لك هذا التلاعب بسلطتك الرسمية واستعمالها في خصوصياتك القذرة . . لأرفعن تقريراً بذلك إلى موسكو !

تروفسكي : كلا يا عزيزتي ليس هذا من خصوصياتي القذرة كما تزعمين . . ستكافئني موسكو على هذا العمل فقد خلصتها من رجعي كبير . . خلصتها من ذلك القس الكاثوليكي الصعب المراس .

نفتاليا : كذبت . . لا تجرؤ أنت على قتله وإلا ثارت عليك تيرانا كلها .

تروفسكي : قتلته بسلاح لا يستطيع شعب تيرانا أن يراه . أمرت رجالا فاصطادوا لي مرجريت في مكان ما ثم دعونا أخاها القس فرأى بعيني رأسه ثوب أخته العذراء . فما اطلع عليه حتى قضى نحبه كمدا .

نفتاليا : إجرام ونذالة !

تروفسكي : بل عبقرية أصابت عصفورين بحجر واحد ، فقد أرحت موسكو من ذلك الرجعي الكبير دون إحداث ضجة في البلد ، واصطفيت لنفسي جاسوسة خاصة رائعة الجمال . . .

نفتاليا : « متجلدة » وماذا أيضا ؟

تروفسكي : (بلهجة التشفي) اطمئني الآن يا رفيقتي العزيزة فقد وطدت مركزي . . سنبقى هنا في ألبانيا . . إنها جميلة . . كل شيء فيها جميل !

نفتاليا : (في قسوة وجمود) ولا سيما شبابها ! حسنا يا رفيقي العزيز سأصطفي لنفسي منهم جاسوسا آخر !

تروفسكي : (متجلدا) افعلي يا رفيقتي العزيزة ما تشائين . . ستحدين عبقريتي للقيصر (كاباش الثاني) بالمرصاد !

« ستار »

حفلة التكريم الكبرى

(١)

فى حجرة بمستشفى بورتسموث . يظهر المستر بيفن مسجى على السرير وعلى رأسه عصابة . وعنده الطبيب الذى ضمد له جرح رأسه وهو يغسل يديه عقب عملية التضميد . وقد وقفت ممرضة بين يديه لتناوله المنشفة .

الطبيب : إنه نائم الآن فابقى معه فى الحجرة ، ولا تبرحيها حتى يصحو من تلقاء نفسه .

الممرضة : حسنا ياسيدى الدكتور (تناوله المنشفة)

الطبيب : لا تأذنى لأحد بالدخول عليه فهو بحاجة إلى الراحة التامة (يتحرك المستر بيفن فى سريره)

الممرضة : انظر يا سيدى . . إنه يتحرك .

الطبيب : (بصوت خافت) : بدأ يفيق من غشيته .

بيفن : (يفتح عينيه) : أين أنا الآن ؟

الطبيب : (يقبل عليه) فى المستشفى يا سيدى ، ولا بأس عليك :

بيفن : (يضع يده على العصابة التى على رأسه) : وما هذا الذى برأسى ؟

الطبيب : طهرنا لك الجرح وعصبناه .

بيفن : جرح !

الطبيب : جرح بسيط جدا لا خوف عليك منه .

بيفن : ويلكم . . متى حدث لى هذا ؟

الطبيب : ألا تتذكر يا سيدى ؟ إنك وقعت من على كرسيك فحملت إلى هنا ..

يفن : نعم تذكرت الساعة . . لعنة الله على بلاكويل ! أين ذهب هذا الشقى ؟

الطبيب : هو فى قاعة الانتظار أسفل .

يفن : ائتونى به .

الطبيب : من الخير أن تدعه الآن يا سيدى وتلزم الراحة .

يفن : (بصرامة) : لا تعارض أمرى !

الطبيب : ادعى الدكتور بلاكويل يا إيلين .

الممرضة : سمعا (تخرج)

يفن : اسقونى شيئا فإنى عطشان .

الطبيب : (علأ له قدحا من قنينة شراب) : تفضل يا سيدى .

يفن : (يحاول الجلوس ليشرب) : آه . . كل هذا من بلاكويل !

الطبيب : ابق يا سيدى كما أنت . . . سأسقيك إياه .

يفن : كلا لا أشرب إلا جالسا . أتظننى لا أقوى على الجلوس ؟
ماذا تظننى ؟ فى دور النزع ؟

الطبيب : حسنا يا سيدى دعنى أساعدك .

يفن : (ينحى يد الطبيب) بل سأجلس وحدى . (يجلس فيشرب القدح
عبا) شكراً .

الطبيب : هل أزيدك يا سيدى ؟

يفن : حسبى هذا (يمد الطبيب يده ليأخذ القدح منه) دعه معى !

الطبيب : سأعيده إلى مكانه .

يفن : بل دعه معى . . سترى الآن ماذا أصنع به .

(يدخل بلاكويل مترفقا فى مشيته وخلفه الممرضة)

بلاكويل: لا بأس عليك يا سيد . .

يفن : لعنة الله عليك ! (يقذف بالقدح على بلاكويل فيصيب كتفه ويتحطم
القدح على الأرض)

بلاكويل: (يقف مرتجفا) معذرة يا سيدى . . إننى شديد الأسف لما حصل

يفن : أجلستنى يا مأفون على حافة الكرسى حتى وقعت على ظهرى

بلاكويل: ما حيلتى يا سيدى ! كان لابد من التمرين على الجلسة التى ستجلسها أمام الوفد العراقى ، ولم نجد فى الدار كرسيا عاليا يصلح لهذا الفرض . والحمد لله قد نجحت التجربة ولم تصب إلا بجرح بسيط .

(تجمع الممرضة حطام القدح فتخرج به من الحجرة)

يفن : لولا ثقتى بإخلاصك لحسبتها مؤامرة منك أوعز بها إليك نورى السعيد رغبة فى إضعافى حين أقف أمامه عند المفاوضة .

بلاكويل: (يهدأ جأشه قليلا) : حاشاى يا سيدى . . تعالى أن أتواطأ عليك مع (ذى ميزرابل جبسى) حتى ولو ولانى رئاسة الوزارة فى بلاده !

يفن : (يقهقه ضاحكا) ما أظرفك يا دكتور بلاكويل !

بلاكويل: شكرا يا سيدى . . هذا من لطفك .

يفن : دى ميزرابل جبسى . . هيء هيء هيء . . .

الطبيب : لا تضحك هكذا يا سيدى . . .

يفن : ما تقول ؟ أتريدنى أن أبكى ؟ أتريدنى أن أتمرن هنا على البكاء أمام الوفد العراقى ؟

بلاكويل: (يقهقه) : هذه يا سيدى أظرف من نكتتى وأبدع !

الطبيب : إنما أخشى يا سيدى أن يضرك الضحك .

يفن : وهل البكاء ينفعنى أيها الطبيب البارع ؟

بلاكويل: هذه نكتة أخرى لا بأس بها !

الطبيب : إن أى حركة يا سيدى قد تضرك فأنت بحاجة إلى الهدوء التام .

يفن : تريد أن تمنعنى من الحركة ؟ أمتواطىء أنت أيضا مع ذى ميزارابل جبسى ؟

الطبيب : مَنْ ذى ميزرابل جيبى هذا ؟ إنى لا أفهم يا سيدى شيئا مما تقول .

بيفن : أما تعلم أنى سأفاوض الوفد العراقى الليلة ؟ أم تريدنى أن أدعوهم ليفاوضونى عندك هنا فى المستشفى ؟

بلاكويل : وهذه أبرع وأظرف !

الطبيب : (يحاول ضبط أعصابه): لكن يا سيدى لا ينبغى أن تقوم الليلة بأى مجهود شاق .

بيفن : ويلك . . إن لم أقم الليلة بالمجهود الشاق فمتى ؟ ألا تعلم أننى سأبنى الليلة أساس الصرح الشامخ ؟

الطبيب : الصرح الشامخ .

بيفن : قل له يا دكتور بلاكويل ما الصرح الشامخ .

بلاكويل : صرح الدفاع المشترك بين بلادنا ودول الشرق الأقصى !

بيفن : الشرق الأوسط ، ويلك !

بلاكويل : الأوسط أم الأقصى ؟ . نعم نعم . الأوسط . . اعذرنى يا سيدى إن أخطأت فليست الجغرافيا من اختصاصى . . . كنت أكرهها جدا فى المدرسة .

الطبيب : ألا يمكن تأجيل موعد الاجتماع يا سيدى ولو إلى مساء الغد ؟

بيفن : كلا . . هذا محال . سيعدونه تراجعا منا ، وماذا بى الآن ؟ ألستم قد عصبتم رأسى وكتفى ؟

بلاكويل : يجب ستر هذه العصابة يا سيدى بقبعة كبيرة حتى لا يراها القوم !

الطبيب : لكن يا سيدى ينبغى أن تستريح الليلة .

بيفن : أنا أستريح ! كلا . إن الذى ينبغى له أن يستريح إنما هو المستر أتلى لا أنا .

الطبيب : لكن يا سيدى . .

بيفن : كفى اعتراضا علىّ !

(يدخل المستر أتلى)

بيفن : أنت هنا يا مستر أتلى ! ماذا جاء بك من لندن ؟

أتلى : جئت أمس لأطمئن عليك ، فقد صعقت لما بلغنى الحادث .

بيفن : أشكرك . لا داعى لكل هذا القلق فإنى بخير .

اتلى : هل فى وسعك الليلة أن تشهد المفاوضة أم . . . ؟

بيفن : كيف لا أشهدها ؟ أتظن أن فى وسعك أن تفاوضهم مكانى ؟ كأنك جئت هنا لهذا الغرض ؟

اتلى : كلا يا مستر بيفن . . ما من أحد يجزىء عنك . . ولكن فى الإمكان تأجيلها حتى تستعيد قواك .

الطبيب : أجل يا مستر أتلى : أقنع المستر بيفن بوجوب البقاء هنا ولو ليلة واحدة ، فإنى أخشى عليه من الحركة .

بيفن : (منفعلا) أتريدون أن توهمونى بأنى ضعيف لا أقوى على الحركة ؟ (ينهض عن سريره بقوة) ويلكم . . إنى أتحدى أى واحد منكم أن يصارعنى الآن ؟

بلاكويل : من شاء أن يجرب فليفعل . أما أنا فإنى مقتنع بقوتك !

اتلى : أنا أيضا مقتنع بذلك ، ولكنى متطير من السقطة التى سقطتها من على كرسيك فى هذه المدينة . ولذلك أرى أن نؤجل المفاوضة ، ونعقدها فى لندن بدلا من بورتسموث المشئومة .

بيفن : دعنى من وساوسك هذه ، فلو كنت خرافيا مثلك ما أنجزت فى حياتى عملا قط .

(٢)

عقب توقيع المعاهدة فى بورتسموث

أتلى : أهنئك يا مستر بيفن على هذا النجاح العظيم .

بيفن : أهذا كل ما تستطيع قوله فى هذه المناسبة ؟ فأين ذهبت شاعريتك !

أتلى : أنى لشاعر — مهما كان عظيما — أن يوفى هذا النجاح حقه من الإشادة والتقريظ ؟

بيفن : (يبتسم راضيا) : بورك بك . فهل أنجزت القصيدة التى اقترحتها عليك فى مدح الوفد العراقى ؟

أتلى : قد نظمت معظم أبياتها ، وما بقى علىّ إلا أن أختمها .

بيفن : أرجو أن تكون رائعة .

أتلى : ستسمعها فى حفلة التكريم الكبرى ، وسترى كيف تلهب الأكف بالتصفيق .

بيفن : لتفخر الامبراطورية بى وبك . أنا بانى الصرح الشامخ ، وأنت الشاعر الذى يخلده !

أتلى : (بصوت خافض) . ترى أيهما أبقى على مر الزمن : الصرح أم الشعر ؟

بيفن : ماذا تقول ؟

أتلى : لا شىء يا مستر بيفن . إنما حدثت نفسى بأنك أنت الأصل وأنا الفرع

(٣)

فى فندق دورشستر بلندن حيث تقام الحفلة الكبرى لتكريم الوفد العراقى ، وقد حضرها لفيف من أعضاء مجلسى العموم واللوردات وكبار الساسة البريطانيين ، وبعض كبراء العرب

الموجودين فى لندن . ويرى فى صدر المكان العلمان البريطانى والعراقى مرفوعين .

(يعزف السلامان الملكيان البريطانى فالعراقى فيقف الحاضرون إجلالا ثم يجلسون .)

مدير الحفلة : (على الميكروفون) سيداتى . . . سادتى . لى الشرف بأن أقدم إليكم دولة رئيس الوزارة المستر كليمنت أتلى ليلقى قصيدته الرائعة

(تدوى القاعة بالتصفيق بينما يتقدم المستر أتلى فى تؤدة ليعتلى المنصة)

نائب معارض: (ينهض من مجلسه) إنى أعترض بشدة على هذه البدعة السخيفة فليس من تقاليدنا أن تفتتح الحفلات الرسمية بقصائد من الشعر . وأسخف من ذلك أن يقوم رئيس وزرائنا بإلقاء قصيدة من شعره فى حفلة دبلوماسية .

بيفن : (يقوم من مقعده) أيها السادة إنى لأشعر بالرثاء لخصومنا هؤلاء الذين ضاقت بهم ميادين النقد والتجريح لأعمالنا ، فأخذوا يتجنون علينا ، ويتمسكون بهذه الشكليات التافهة .

المعارض : ألا تعترف معى بأن هذه بدعة خارجة على تقاليدنا فى الحفلات الرسمية ؟

بيفن : إننا حزب تجديد وإصلاح . نؤثر الابتكار الصالح على التشبث الأعمى بالتقاليد الشكلية البالية . وإن رئيسنا رجل وهبه الله ملكة الشعر ، فلم لايظهر عبقريته فى الترحيب بضيوفنا الكرام ؟

المعارض : لكنا ما جئنا ولا جاء ضيوفنا الكرام للاستماع إلى آيات شعره

بيفن : لو علم النائب المحترم أن العرب ميالون إلى سماع قصائد المدح فى حفلاتهم لما كدر صفو حفلتنا هذه بهذا الاعتراض الذى لا وجه له . وفى وسع ضيوفنا الكرام أن يؤيدوا مقالى هذا .

نورى السعيد: الواقع أننا معشر العرب نطرب للشعر ونعجب به . ولا يسعنا إلا أن نشكر لدولة رئيس الوزارة عنايته البالغة بمراعاة شعورنا .

بيفن : تفضل يا مستر أتلى .

اتلى : (على المنصة يلقى من ورقة فى يده) :

قلت للتاعز مالى أراك تضطرب ؟
أجزعا من غارات الألمان ؟
أم جذلا بدولارات الأمريكان؟
أم خوفا من الخطر الأحمر الذى يقترب ؟

* * *

أجاب التاعز بلسان فصيح :
كلا ، فالألمان قد بادوا فأمنّا غاراتهم .
والأمريكان قد نفد ما أقرضونا من دولاراتهم .
أما الروس فالليث لا يفرق من دب يصيح !
(تصفيق حاد) .
قلت له : فعلام تهتز وتضطرب ؟
قال : فرحا بوفد دجلة والفرات
يحمل منهما إلىّ أخلص التحيات
ويؤكد للبريطانيين صداقة العرب !

* * *

أهلا وسهلا بوفد العراق النبيل .
لقد بنى معنا أساس الصرح الشاهق .
صرح عظيم بفضل بانيَيْهما ناطق .
يبقى على الدهر جيلا بعد جيل !

(ينزل عن المنصة بينما تضج القاعة بالتصفيق)

هتافات : تحيا بريطانيا والعراق ! تحيا معاهدة بورتسموث !

مدير الحفلة : سيداتى سادتى . يتقدم الآن بانى الصرح الشاهق المستر إرنست يفن ليلقى كلمته (تصفيق) .

يفن : (يعتلى المنصة) : حضرة رئيس الوفد العراقى الأفخم . . . حضرات أعضاء الوفد المحترمين : حضرات السيدات والسادة : إننى طول عمرى رجل عملى أومن بالواقع وأنفر من الشعر ، لاعتقادى بأن الشعراء قوم فارغون ، يقولون ما لا يفعلون ، وفى أودية الأوهام يتيهون ، بيد أنى الليلة فقط وددت لو كنت شاعراً لأكون أقدر على التعبير عما يخالج قلبى من السرور العظيم ، والترحيب العميق بضيوفنا الأعزاء أعضاء الوفد العراقى النبيل . (تصفيق) ولعل عزائى الوحيد أن رئيسنا المحبوب وشاعرنا الموهوب المستر أتلى قد ترجم بقصيدته الرائعة عما يختلج فى صدورنا جميعاً (تصفيق) .

سيداتى سادتى : لقد أوضحت فى البيان الذى ألقيته أمس بمجلس العموم أن هذه المعاهدة العراقية البريطانية التى اقترنت باسم تلك المدينة المجيدة بورتسموث تعنى أكثر من معاهدة جديدة بين العراق وهذه البلاد ، إذ تهدف إلى حل مشاكل الشرق الأوسط كلها جملة واحدة ، وتكوين جبهة قوية متحدة للدفاع عن سلامة ذلك الجزء الهام من العالم الذى كان ولا يزال ضرورياً لصون مصالحنا ومواصلاتنا الامبراطورية ، فإذا ما دق ناقوس الخطر ، وقدر للشعوب الديمقراطية أن تنتصر كرة أخرى فى الصراع العالمى القادم ، وتنقذ الحضارة البشرية من الدمار ، وتصون الحرية والكرامة الإنسانية من الطغيان الدكتاتورى الجديد ، فسيكون الفضل الأول فى ذلك لهذين البلدين المجيدين العراق وبريطانيا !

« يسقط فجأة العلم البريطانى المرفوع فى صدر المكان فيتطير الحاضرون ويتهامسون » .

بيفن : لا تتشاءموا ولا تتطيروا فإنما اهتز هذا العلم البريطانى وغلبه الخشوع فخر راكعاً ليؤكد لزميله العلم العراقى أنه لن يتعالى عليه يوماً من الأيام ، بل سيكون دائماً صديقاً مخلصاً متواضعاً مستعداً فى كل لحظة أن يبرهن للشعب العراقى وسائر الشعوب العربية على إخلاص بريطانيا فى صداقتها لهم ، ورغبتها الحقيقية فى التعاون معهم على أساس المساواة التامة لصون السلام المشترك فى ذلك الركن الحيوى من العالم ! (تصفيق حاد) . .

المعـــارض : (ينهض) أنا لا أومن بالخرافات ، فالحق أن العلم البريطانى لم يسقط من مكانه الليلة إلا لأن الذى رفعه قد قصر فى تثبيته . فيجب أن يحاسب على تقصيره . أما وقد سرت إلى المستر بيفن عدوى الشاعرية من رئيسه ، فخلا له أن يعلل هـذا الحادث ذلك التعليل الطريف ، فاسمحوا لى أن آتى بتعليل لا يقل طرافة عما أتى به المستر بيفن ، بل يفوقه انطباقاً على الواقع . إن هـذا العلم لم يجد طريقة أبلغ من السقوط على وجهه أمام الأشهاد للتعبير عن سخطه الشديد على هـذه المغامرة الجديدة التى يقوم بها المستر بيفن فى سياسة الشرق الأوسط ، دون أن يتثبت من إمكان نجاحها .

بيفن : هـذا تعليل طريف حقاً لولا أن نجاح ما تسميه بالمغامرة ليس ممكناً فحسب ، بل هو أمر مؤكد . إن معاهدة بورتسموث — وليقل خصوم الحكومة ما شاءوا — لهى حل سعيد ، وفاتحة عهد جديد . (تصفيق)

المعـــارض : كان يكون هذا صحيحاً لو قدر لهذه المعاهدة النجاح .

بيفن : فقد قدر لها النجاح وقضى الأمر !

المعارض : بل كتب عليها الإخفاق وقضى الأمر !

بيفن : تذكر أنه قد تم التوقيع عليها من الجانبين .

المعارض : نعم قد تم التوقيع عليها فى بورتسموث ، ولكن ما يدريك ألا يكون مصيرها التمزيق فى بغداد ؟ .

نورى السعيد: ليسمح لى حضرة النائب المحترم أن أطمئنه بأن المعاهدة قد تم الاتفاق عليها فى بغداد قبل توقيعها فى بورتسموث .

المعارض : وليسمح لى عضو الوفد العراقى المحترم أن أتم مناقشتى لوزير خارجيتنا صاحب المغامرة الجريئة . فقد كان على المستر بيفن ألا يذيع على العالم بيانه التاريخى أمس حتى يتأكد من أن الذين تركهم أعضاء الوفد العراقى فى بلادهم لن يرموا هذه المعاهدة فى وجوهنا !

أصوات : اسكت ! اسكت !

المعارض : ليعلم أعضاء الوفد العراقى أننا لا نقبل مطلقا أن تصير تصريحات وزير خارجيتنا أضحوكة للعالم !

بيفن : لقد حرت أيها السادة فى فهم ما يعنى حضرة النائب المحترم .

المعارض : نريد أن يكون الوفد الذى يأتى لمفاوضتنا وفداً صحيحا يملك الحل والعقد ، ويمثل الشعب العراقى ، لا وفداً مفتعلا لا يمثل إلا نفسه !

صالح جبر : إنى أحتج على هذا التجريح الذى لا يحق لنائب مسئول أن يوجهه إلى وفد دولة أخرى ذات سيادة !

المعارض : معذرة فما قصدى تجريحكم ، بل تنبيهكم إلى أن أكبر رأس فى بلادكم قد جرّحكم وأنتم لا تعلمون !

نورى السعيد: ماذا تعنى ؟ إنّ سمو الوصى على العرش ليؤيدنا كل التأييد .

المعارض : إنى لا ألومكم وأنتم فى غير بلادكم أن يفوتكم ما نشرته روتر

الساعة ، ولكنى ألوم وزير خارجيتنا ألا يطلع على النشرة قبلى ! . . .

يفن : قد شغلتنى هذه الحفلة ، ولكن أى شىء فى النشرة يقتضى هذا الاهتمام الكبير ؟

المعارض . (يلوّح بالنشرة فى يده) : هذا الوصى على العرش يقول للشعب الهائج إنه لن يوافق على معاهدة لا تحقق السيادة الكاملة للعراق !

(يسلم النشرة لبيفن)

صالح جبر : هذا لا يمكن أن يكون .

نورى السعيد : إن صح هذا فلعل سمو الوصى يريد تهدئة الشعب الذى لم يفهم المعاهدة على وجهها إلى أن نعود إلى البلاد فنشرح لهم مزاياها .

يفن : (مربد الوجه) : دسيسة من موسكو لا ريب !

نورى السعيد : أؤكد لكم أيها السادة أن هذه الزوبعة التى أثارتها شرذمة من خصوم الحكومة الحاضرة فى بلادنا لا تلبث أن تنقشع حين نعود إليها فنشرح للشعب المخدوع حقيقة المعاهدة الجديدة .

يفن : إذن فالبدار البدار بالرحيل ، غير مطرودين ولا مودعين . .

نورى السعيد : ليس فى الأمر ما يقتضى هذه العجلة .

يفن : كلا بل لابد من التعجيل بالسفر قبل أن يتفاقم الأمر . إنى أعلم أنكم قد ارتبطتم بمواعيد لحضور حفلات أخرى ستقام لكم فى هذه البلاد ، ولكن لا بأس أن تعتذروا عن حضورها إلى أولئك الداعين .

صالح جبر : (غاضباً) : ثق يا مستر يفن أننا لسنا بحاجة إلى هذا التنبيه منك !

يفن : إنما قصدى أن تبادروا لإنقاذ مشروعنا العظيم من الخطر ، أما حفلات التكريم فمحفوظة لكم فى فرصة أخرى .

صالح جبر : أرجو أن تتروى فى كلامك ، فلسنا ممن تفتنه حفلات التكريم .

يفن : إنى رجل صريح . فإن وجدتم فى كلامى ما تحسبونه ماساً بكرامتكم فإنى مستعد للاعتذار .

أتلى : أرجو أن نعتبر ما كان كأن لم يكن ، فلنستمر الآن فى حفلتنا ، وليلق من له الكلمة كلمته . .

مدير الحفلة : الكلمة لحضرة صاحب الدولة رئيس الوفد العراقى . . .

(تصفيق) .

صالح جبر : (فى مكانه لم يتحرك) : سألقى كلمتى فى أول حفلة تقيمونها لنا بعد العودة من بلادنا ، فقد تفضل المستر يفن فوعد بأن يحفظ لنا حقنا فى تلك الحفلات !

يفن : هذا كلام لايخلو من الموجدة علىّ . ولكنى سأؤيده على اعتبار أن هذه الحفلة ستبقى قائمة مستمرة حتى يعود الوفد إلينا بعد إصلاح الحالة فى بلاده ، فنستأنف الحفلة وتكون كلمة السيد صالح جبر مسك ختامها .

المستشار . إذن فربما تمتد هذه الحفلة شهوراً ، وربما تبقى مفتوحة إلى الأبد !

نورى السعيد: سيعلم حضرة النائب المحترم أن أمدها لن يطول ، إلا ريثما ترحل بنا الطائرة من لندن إلى بغداد ، ثم من بغداد إلى لندن .

(ينهض صالح جبر للانصراف ، فينهض معه أعضاء الوفد) .

أتلى . هلا تجلسون قليلا أيها السادة ، فإنكم ما شربتم الشاى بعد . .

يفن : أجل ، أتموا شرب الشاى فإن ذلك لن يؤخركم .

صالح جبر : (كاظماً غيظه) : سنشرب الشاى فى بغداد !

نورى السعيد: (يصطنع الابتسام) : بل سنشربه هنا بعد العودة .

« ستار »

رئيس وزارة أم سائق سيارة

(١)

في ديوان الإقامة العامة « مقر المقيم العام » بتونس .

(يحضر مصطفى الـكعاك رئيس الوزارة فيستقبله الـكاتب العام بشيء من الفتور والاحتقار .)

الـكاتب : كيف الحال ياسيو كعاك . . هل من جديد ؟

الـكعاك : الحال ياسيدي كما تعرف . . المجاعة تشتد في البلاد يوماً فيوما .

الـكاتب : هل جئت لترفع إلينا هذا الخبر ؟

الـكعاك : لا ياسيدي . . أنتم أعلم بذلك مني ، فالتقارير ترد إليكم قبلي .

الـكاتب : فعلام ذكرت المجاعة ؟ أأردت أن توبخنا بذكرها ؟

الـكعاك : لا تسيء بي الظن ياسيدي ، ولا تتهمني في ولائي لفرنسا . . . إني ما ذكرت المجاعة إلا رداً على سؤالك ، ولا يهمني أمرها في قليل ولا كثير ، فما أنا بمسئول عنها ولا في يدي علاجها .

الـكاتب : فمن المسئول عنها ويلك ؟ فرنسا . . أليس كذلك ؟

الـكعاك : أراك ياسيدي تحاول توريطي وتأويل كلامي بغير ما أقصد .

الـكاتب : هذا فحوى كلامك .

الـكعاك : كلا ياسيدي . . إنني رجل مسلم ، والمسلم يؤمن بأن الله فاعل كل شيء ، فالمجاعة من فعل الله وهو وحده القادر على دفعها .

الـكاتب : لـكن المسلمون هنا لا يعتقدون هذا .

الـكعاك : ذلك من جهلهم بالإسلام الصحيح .

الـكاتب : فماذا تقترح فى هذا الصدد ؟

الـكعاك : لا أقترح شيئاً .. أرجوك ياسيدى ألا تورطنى فى هذه المزالق . ما لى ولهذه الشؤون التى ليست من اختصاصى ؟ إنما جئت لأكلم فخامة المقيم العام فى مسألة تخصنى ، فهل أستطيع ياسيدى أن أقابله الآن ؟

الـكاتب : يجب أن تعلم أنه لا حق لك فى مقابلته إلا إذا هو دعاك .

الـكعاك : لـكنى رئيس الوزارة .

الـكاتب : رئيس الوزارة يتصل بالكاتب العام ، وجلالة الباى يتصل بفخامة المقيم العام . . هكذا يقضى قانون المشاركة فى الحـكم ، فلا تتطاول إلى ما ليس بحقك .

الـكعاك : هل تعدنى بقضاء حاجتى إن أفضيت بها إليك ؟

الـكاتب : خبّرنى أولا عن حاجتك .

الـكعاك : أرجو أن تخصص الحكومة سائقا لسيارتى ، فلا ينبغى لرئيس وزارة مثلى أن يسوق سيارته بنفسه .

الـكاتب : يؤسفنى أنى لا أستطيع تلبية طلبك .

الـكعاك : لـكن هذا حق من حقوقى !

الـكاتب : هذه لهجة جديدة ما كنا نتوقع سماعها منك . أما كفاك أن جعلنا منك شيئاً مذكوراً حتى تطالبنا بحقوق لك ؟ هل غرك أننا قلدناك وسام « اللجيون دونير » ؟ فاعلم أننا منحناه لمنصبك لا لشخصك .

الـكعاك : بل استحققته بالخدمة العظيمة التى أسديتها للحكومة .

الـكاتب : تعنى قبولك للوزارة ؟

الـكعاك : نعم ، فقد أنقذت شرف فرنسا وكرامتها حين قرر المؤتمر مقاطعتها وعدم التعاون معها فى الحـكم واعتبار من يخالف هذا القرار خائنا لوطنه ، فما تقدم لها غيرى .

الـكاتب : إن كان لك أى فضل فى ذلك فعلى بنى جنسك إذ كسبت لهم حق المشاركة فى الحكم ، لا على فرنسا التى تستطيع أن تحكم البلاد بدونكم !

الـكماك : لكنك تعرف أن التونسيين لا يرضون بغير الاستقلال التام .

الكاتب : لأنهم حمقى لا يعرفون مصلحتهم ، ولا يقدرون فضل فرنسا فى تمدينهم ونشر العمران والرخاء فى بلادهم .

الـكماك : هم يعتقدون أن فرنسا تستغل موارد بلادهم ولا تبقى لهم منها شيئا .

الـكاتب : ما أوقحهم وأكفرهم للجميل ! يمنون على فرنسا بالحبوب والزيت وهى تصرفها لهم فى أسواقها ، وينسون السلع التى تصدرها فرنسا إلى هذه البلاد . . . ينسون أقلام « الروج » والروائح العطرية والملابس المفصلة على أحدث الطرز الباريسية التى لها المقام الأول فى أوساط الأناقة والجمال فى العالم !

الـكماك : إنهم لا يهتمون بهذه الكماليات بل يرون أنها تستنزف أموالهم .

الـكاتب : أجل إنهم بهائم لاهمّ لهم إلا الحبوب والعلف . ولكنا قد أخذنا على عاتقنا أن نمدنهم ونهذب أذواقهم ونفتح عيونهم على أسرار الجمال ، ولن نتخلى عن رسالتنا هذه أبداً .

الـكماك : إننى أنا التونسى الوحيد الذى يؤمن بهذه الرسالة ، ويرى أن تونس لا يمكنها الاستغناء عن فرنســـا . أفلا أستحق لهذا أن أطالب الحكومة بتخصيص سائق لسيارتى حفظاً لكرامة منصبى ؟

الـكاتب : لا خوف على كرامة منصبك ، فهى محفوظة بهيبتنا .

الـكماك : أو قد صممتم على حرمانى هذا الحق ؟

الـكاتب : إننا لا نرى هذا من حقك .

الـكماك : لكنى لا أجيد سوق السيارة كما ينبغى ، وستندمون غداً حين يقع لوزيركم الأمين حادث اصطدام . . هأنذا قد أنذرتكم !

الـكاتب : إن كنت لا تخشى على نفسك التهلكة فلن يخشاها عليك أحد سواك .

(٢)

المقيم العام والكاتب العام

المقيم : كم عدد الوفيات أمس ؟

الكاتب : (ينظر فى تقرير بيده) ها هو ذا يا صاحب الفخامة . . . ثلثمائة وأربع وأربعون وفاة .

المقيم : توزيعها ؟

الكاتب : ٩٩ فى منطقة القيروان . .

المقيم : هذه مركز التعصب العربى . . دع الجوع يحصدهم حصداً !

الكاتب : ٦٠ فى منطقة مجاز الباب . . و ٣٦ فى صفاقس .

المقيم : والبادية . . كم وفاة فيها ؟

الكاتب : ١٥٢ فى جبنانة وما حولها .

المقيم : مرحى ! مرحى ! دع البدو الأجلاف يبادوا جميعاً . . انهم عماد الشر ومنبع الحركة الإجرامية ضدنا . . وماذا أيضاً ؟

الكاتب : لا شىء ياسيدى . . قد تم العدد ٣٤٤ وفاة .

المقيم : أكثر من وفيات أول من أمس ؟

الكاتب : نعم ياصاحب الفخامة . . إن الزيادة مطردة .

المقيم : حمداً لله لقد كفتنا هذه المجاعة مؤونة تقتيل هذه الحشرات التى لا تساوى قيمة الرصاص الذى تقتل به ! والله لو تمثلت المجاعة شخصاً لبنينا لها تمثالا من الذهب !

الكاتب : إن الذى استطاع بكياسته وتدبيره أن يخلقها لأجدر منها بهذا التكريم .

المقيم : (يتضاحك) ويلك . . إنى ما سئمت الحياة بعد لتحبسنى فى تمثال !

الكاتب : ليس الآن ياسيدى ، بل بعد عمر طويل .

المقيم : لقد نجحت الخطة دون أن تثير ارتياب أحد . . أليس كذلك ؟

الكاتب : أجل . . . تلك هى البراعة يا سيدى ، كأنما الأمور تجرى طوع مشيئتك !

المقيم : كلا ، إن الأمور لا تجرى طوع مشيئتى ، فهذا الذى تراه إن هو إلا نتيجة تفكير طويل وتدبير شاق وسعى أشق وأطول .

الكاتب : بالطبع يا سيدى ، بالطبع . .

المقيم : إذا سارت الأمور على هذه الوتيرة فلن ينقضى هذا العام حتى يكون فى وسعنا أن نستورد ربع مليون مهاجر من الفرنسيين وغيرهم ليحلوا محل هذه الحشرات المنقرضة .

الكاتب : حبذا لو كانوا جميعا من الفرنسيين حتى يتم التجانس .

المقيم : لكننا لا نضمن وجود هذا العدد من الفرنسيين الراغبين فى الهجرة ، بالرغم من الامتيازات العظيمة التى نغريهم بها فى هذه البلاد والأراضى الزراعية التى نقطعها لهم مجانا .

الكاتب : يجب القيام بدعاية واسعة فى أوساط الفلاحين الفرنسيين لترغيبهم فى الهجرة .

المقيم : لا داعى لهذه المشقة الآن ما دمنا نجد الراغبين فى الهجرة من الأجانب ، فكل همنا أن نلاشى الوطنيين سواء بالفرنسيين أو بغيرهم . . بل لعل الأقليات الأجنبية أعون على تثبيتنا وتوطيد سلطتنا من الفرنسيين أنفسهم إذ لا شك أن هؤلاء الأجانب أطوع لنا وأقل إثارة للمتاعب من المستعمرين الفرنسيين .

الكاتب : هذا حق يا سيدى ، ولكنهم أبناء فرنسا ، ولهم الدالة على أمهم .

المقيم : أبواب البلاد مفتوحة أمامهم على كل حال ، وهم المفضلون على غيرهم إن رغبوا فى الهجرة

الكاتب : ليت شعرى متى يدركون أنهم بالهجرة إلى هذه البلاد يخدمون وطنهم أكثر مما يخدمونه بقائهم فى فرنسا ؟

المقيم : لا فائدة فى انتظار ذلك . إنهم هناك مشغولون بالتطاحن الحزبى عن الالتفات إلى خطر الجامعة العربية الذى يوشك أن يبتلع الشمال الأفريقى كله . أستطيع أن أؤكد لك أن سواد الشعب الفرنسى لا يدرك هذا الخطر العربى على بلادنا هذه ، بل إن كثيرا منهم لم يسمع بوجود الجامعة العربية قط . أحزاب اليمين وأحزاب اليسار كلهم نكبة على فرنسا !

الكاتب : أجل أولئك الزعماء الذين لا تخلو الصحف يوما من صورهم وأخبارهم يحسبون أنهم يقررون مصير فرنسا ، ولا يدرون أن مصيرها إنما هو فى أيدى أمثالك من الذين يخدمونها خارج الوطن فى صمت وإخلاص .

المقيم : (يتنهد) : آه . . دعنا من هذه الأمور فإن ذكرها لا يورثنا إلا الأسى والكمد . . أرنى هذا التقرير لألقى نظرة عليه .

الكاتب : قد تلوت مضمونه عليك . .

المقيم : لا بأس .

الكاتب : تفضل يا سيدى (يناوله التقرير الذى كان فى يده) .

المقيم : (ينظر فيه مليا) : ألم تلحظ أن أهل الجنوب لم يتأثروا بالمجاعة كما ينبغى ؟

الكاتب : بلى يا سيدى ، قد عنت لى هذه الملاحظة ، ولكنى نسيت أن ألفت إليها نظرك .

المقيم : أغلب الظن أنهم أخفوا عن الحكومة كثيرا من حبوبهم .

الكاتب : لا يبعد أنهم اتخذوا لهم أهراء فى باطن الأرض يخفون فيها حبوبهم .

المقيم : يجب القيام بتفتيش دقيق فى منازلهم لاكتشاف تلك الأهراء السرية .

الكاتب : غدا سأصدر أوامرى بذلك ، وبمصادرة كل ما يوجد عندهم من الحبوب

المقيم : إن الخيانة لفرنسا قد عجنت بها لحومهم ودماؤهم ، فلا تستطيع السياط على ظهورهم أن تخرجها ، ولا علاج لهم إلا الموت . . هذه المجاعة هى خير علاج لهذه الكلاب المسعورة .

الكاتب : نعم يجب أن نعنى بتنمية المجاعة بكل ما أوتينا من قوة . .

المقيم : أهم من ذلك أن نحافظ على كتمانها حتى لا تتسرب أخبارها إلى الخارج

الكاتب : لا خوف من ذلك بعد ما منعنا المراسلين الأجانب من دخول البلاد .

المقيم : إنما خوفى من مراسلى صحفنا الفرنسية ، ولا سبيل إلى منع هؤلاء ، فهذه الصحف لا تهتم بمصلحة فرنسا اهتمامها بالسبق الصحفى ، وقد دأبنا على إسكاتها بالمال ، ولكنى أخشى أن يكون الإعتماد الذى خصصناه لذلك من خزانة هذه البلاد غير كاف .

الكاتب : كان على حكومة باريس أن تعيننا فى هذه النفقات السرية

المقيم : هذا محال . . . يكفينا منها فقط أن تدرك أهمية هذا العمل ، فلا تلومنا على إنفاق المال فيه ، وتطالبنا بإرساله إلى خزانتها .

الكاتب : لم لا نزيد الاعتماد المخصص لذلك ؟

المقيم : مهما نفعل فلا بد أن ينتشر خبر المجاعة وشيكا ، وسيكون الفضل فى ذلك لإحدى الصحف الباريسية .

الكاتب : فما العمل ؟

المقيم : يبدو لى أن الأفضل أن نسبق نحن إلى الإعلان عنها بصورة تتفق مع مصلحتنا .

الكاتب : كيف ياسيدى ؟

المقيم : لا غنى لنا فى ذلك من الاستنارة برأى السكعاك .

الكاتب : وأى رأى عند هذا الأحمق المأفون ؟

المقيم : أراك شديد التحامل عليه . . إنه بعدُ ليس رديئاً كما تظن ، فكثيراً ما أتحفنا بآراء مدهشة .

الكاتب : لكن ما شأن الكعاك بهذا الأمر ؟

المقيم : سترى ذلك فيما بعد . . . قل لى كيف حاله الآن ؟

الكاتب : لا أعرف عن حاله شيئا إلا أنه لا يزال مقيما فى المستشفى ولم أره منذ يوم الحادث .

المقيم : الواقع أنى قصرت فى حقه إذ لم أعده بنفسى وأسأل عن حاله .

الكاتب : إنه لا يستحق هذا الشرف . . . بحسبى أنى عدته يوم الحادث بالنيابة عنك ، وإن ذلك لكثير عليه لو لا أمرك .

المقيم : أما أنا فلا أرى رأيك فيه ، ونحن الآن فى حاجة إليه ، فدعنا نمضى لزيارته .

الكاتب : إنه مغرور بنفسه ، وسيزيده تشريفك له غروراً على غرور ، فإن شئت زرته بالنيابة عنك . .

المقيم : كلا سأذهب إليه بنفسى ، فإن كنت تكره رؤيته فلا حرج عليك .

الكاتب : بل سأصحبك يا سيدى ، لا أتركه ينفرد بك فيثقل عليك بحاجاته .

المقيم : (يبتسم) إن أمرك لعجيب ، كأنما بينك وبينه ثأر ! .

الكاتب : قد آليت على نفسى ألا أدع هذا التونسى الحقير يطاول أسياده !

(٣)

فى غرفة من غرف المستشفى الكبير بمدينة تونس (يرى مصطفى الكعاك واقفا أمام المرآة يسرح الشعرات الباقية من رأسه الأصلع ، وقد وقفت إحدى الممرضات قريبا منه)

الكعاك : خبرينى أأنت إيطالية ؟ .

الممرضة : نعم يا سيدى . . . قد قلت لك هذا مراراً . . . قل لى ما طلبك ؟ إنهم ينتظروننى أسفل .

الكعاك : بل قفى قليلا حتى أتذكر الطلب . فقد نسيته !

الممرضة : سأذهب الآن ثم أعود إليك وقد تذكرت ما تريد .

الكعاك : كلا يا صغيرتى . . ابقى عندى حتى أتذكره .

الممرضة : قد يطول نسيانك هذا فيطول وقوفى .

الكعاك : إن طال وقوفك فهو عقاب لك !

الممرضة : عقاب ! ماذا جنيت يا سيدى ؟ .

الكعاك : إن هذا الجمال هو الذى أنسانى طلبى ، فيجب أن أعاقبه ! اقتربى منى قليلا لعل عينيك تذكرانى .

(يدخل رئيس الخدم)

الكعاك : ويلك يا وقح . . . أتدخل بدون استئذان ؟

رئيس الخدم: لا تؤاخذنى يا سيدى . . . إن فخامة المقيم العام آت لزيارتك .

الكعاك : فخامة المقيم العام ! أين هو الآن ؟

رئيس الخدم: يصعد الدرج . هل من خدمة يا سيدى ؟

الكعاك : لا . . . انصرف أنت من هنا .

رئيس الخدم: سمعا يا سيدى (يخرج) .

الكعاك : (يثب على السرير فيستلقى عليه) : هلمى يا هذه . . . سوّى الغطاء علىّ ؟

الممرضة : (تسوى الغطاء عليه) ألا تقول لى يا سيدى ما طلبك ؟

الكعاك : (مضطربا) ليس الآن . . ليس الآن . . قفى أنت الآن خارج الغرفة . .

الممرضة : الحمد لله قد نجوت من العقاب ! (تخرج)

(يدخل المقيم العام والكاتب العام يتقدمهما رئيس المستشفى)

الكعاك : (يستوى جالسا على سريره) : مرحبا بك يا صاحب الفخامة ! لماذا تكلف نفسك كل هذه المشقة من أجلى ؟

المقيم : ما قمت إلا بواجبى يا مسيو كعاك ، بل أرانى مقصرا إذ لم أبادر بالسؤال عنك .

الكعاك : كلا يا صاحب الفخامة . . لقد أوفدت سعادة الكاتب العام لزيارتى يوم الحادث المشؤم . وهأنتما الآن تعودانى مرة أخرى ، فليت شعرى كيف أشكركما ؟ .

(يقدم رئيس المستشفى كرسيين لهما فيجلسان ، وينحنى هو احتراما وينصرف) .

المقيم : وكيف حالك الآن يا مسيو كعاك ؟

الكعاك : الحمد لله ، إننى الآن بخير . . لقد نجوت يا صاحب الفخامة من موت محقق .

المقيم : لقد انزعجت كثيرا لما سمعت بالحادث .

الكعاك : شكرا يا سيدى . . . لا أسمعك الله مكروها فى عزيز لديك .

المقيم : حقا إنه لحادث مؤسف . .

الكعاك : أما أنا فقد حمدت الله إذ لطف بى ، بل أستطيع اليوم أن أعد هذا الحادث نعمة علىّ إذ أتاح لى شرف تعطفكم بالزيارة ، وأرجو أن يحقق لى مطلباً آخر طالما تمنيت أن تنعموا به علىّ .

المقيم : ما هو يا مسيو كعاك ؟

الكعاك : أظن سعادة الكاتب العام يعرف مطلبى ، فقد رأى بعينيه كيف أنه ضرورى لحفظ حياتى من خطر الهلاك فى حادث مشؤوم كهذا .

الكاتب : (للمقيم) إنه يطمع فى تخصيص سائق لسيارته .

الكعاك : نعم يا صاحب الفخامة حفظاً لحياتى وصونا لكرامة منصبى .

المقيم : سننظر فى أمر هذا الطلب .

الكاتب : لكن لا وجه لهذا الطلب يا صاحب الفخامة . . إنه تبديد لأموال الحكومة لا مبرر له ، ولا سيما والبلاد الآن فى مجاعة .

الكعاك : إنك دائما تقف فى طريقى .

الكاتب : يجب ألا تتطاول إلى ما ليس بحقك !

الكعاك : قد خصصت الحكومة سائقاً لسيارتك فيجب أن تخصص سائقاً لسيارتى أيضاً فنحن فى درجة واحدة بمقتضى قانون الشاركة فى الحكم

الكاتب : أنت مثلى ! هذه وقاحة لا تطاق . . إن قانون المشاركة يسوى بين منصبينا ولكن لا يسوى بين شخصينا : أنا فرنسى وما أنت إلا تونسى !

المقيم : لا تقل هذا فكلاكما من أبناء فرنسا .

الكاتب : عليه أن يعرف لفرنسا فضلها إذ خولته شرف الانتماء إليها فلا يتطاول على أبنائها الأقحاح !

الكعاك : إنى ما طلبت إلا حقا لى بمقتضى دستور المشاركة الذى وضعته فرنسا ، فكيف يعد هذا تطاولا على أبنائها ؟

المقيم : حسنا يا مسيو كعاك ، سننظر فى أمر طلبك .

الكاتب : إننى أنذرك يا صاحب الفخامة ، لئن سويت بينى وبين الكعاك لأستقيلن من منصبى !

الكعاك : سبحان الله . . تتهمنى بالتطاول عليك وأنت فى درجتى ، ثم تعمد إلى من هو أرفع منزلة منى ومنك فتتطاول عليه وتعترض على قراره!

الكاتب : اسكت . . لا تتداخل فيما بيننا نحن الفرنسيين !

المقيم : نعم . . قد أخطأت فى هذه يا مسيو كعاك .

الكاتب : أرأيت يا صاحب الفخامة صلفه وغروره ؟ هو اليوم يرى نفسه فى درجتى ، وغداً يرى نفسه فى درجتك !

الكعاك : يا سادتى ، إنى ما طلبت السائق لسيارتى إلا حفظا لكرامة المنصب ، وصونا لهيبة فرنسا فى هذه البلاد .

الكاتب : نحن الذين نمثل فرنسا هنا . أما أنت فلا تمثل إلا هؤلاء التونسيين الرعاع !

الكعاك : كلا إنى لا أمثل إلا فرنسا التى وضعتنى فى منصبى على رغم هؤلاء

التونسيين الرعاع . أما إذا شئت من يمثلهم حقا فاستدع الحبيب أبا رقيبة من مصر ليتولى الوزارة مكانى ، فسترى حينئذ أنه لا يرضى بك أنت سائقاً لسيارته !

الكاتب : (يرتعد غضباً ويشد شعره ويصر بأسنانه غيظاً) أسمعت هذا التونسى الوقح كيف يذكر عدو فرنسا اللدود أمامنا ، وكيف يشتمنى ويستهزىء بى !

الكعاك : ما حيلتى إذا كنت لا تحب أن يذكر صديق فرنسا الوفى بخير أمامك؟

المقيم : لكنك شتمته ، وهذه كبيرة منك .

الكعاك : كلا يا سيدى ما شتمته .

الكاتب : ألم تقل إن أبا رقيبة لا يرضى بى سائقاً لسيارته ؟

الكعاك : ما هذا بشتيمة . . هذا حق . هذه عنق فاقطعوها إن رضى أبو رقيبة أن يتخذك سائقاً لسيارته ! وأنا ما طمعت قط أن تكون أنت سائق سيارتى ، بل طلبت أى سائق تونسى ، فعلام تعارض طلبى؟

الكاتب : أسمعت هذه الوقاحة يا صاحب الفخامة ؟

المقيم : كفى ملاحاة ، فما لهذا جئنا .

الكعاك : قد رأيت يا سيدى كيف تهجم على ، وإنى آسف لما بدر منى على كل حال .

المقيم : دع عنك هذا . . أريد الآن أن أستنير برأيك فى مسألة هامة .

الكعاك : إنى تحت أمرك يا فخامة المقيم .

المقيم : إنا لا نأمن أن ينشر خبر المجاعة فى الخارج ، فرأينا أن نعلن عنها بما يتفق مع مصلحة فرنسا ، وأن ننتحل لها سبباً مقبولا تسقط به عن فرنسا التبعة . . فما رأيك ؟ هل لديك اقتراح بهذا الصدد ؟

الكعاك : لن يصح لى رأى يا سيدى إلا إذا وعدتنى بتحقيق مطلبى .

المقيم : أعدك بأن هذا الطلب سيكون موضع النظر .

الكاتب : لكن يا صاحب الفخامة ...

المقيم : (يغمز له جفنيه) لا شأن لك أنت الآن ! (للكعاك) : ماذا تقترح يا مسيو كعاك ؟

الكعاك : (مزهواً بنفسه) أما وقد وعدتني بتحقيق مطلبي فهاك عصارة ذهني ! سندعو الأمة إلى إقامة صلاة استسقاء عامة . .

المقيم : صلاة استسقاء ؟ ما معنى ذلك ؟

الكعاك : هي صلاة خاصة معروفة عند المسلمين ، يقيمونها عندما يشتد الجفاف والقحط ، فيدعون الله فيها أن ينزل عليهم الغيث فيعم الرخاء . .

الكاتب : ومن قال لك إننا نريد أن يعم الرخاء ؟

الكعاك : (متشفيا) لا تعجل ياسيدي ، ليس كل امرىء يقدر أن يدرك مغزى حديثي من أول وهلة !

المقيم : أتم حديثك يا مسيو كعاك .

الكعاك : الغرض من إقامة هذه الصلاة أن نفهم سواد الناس في هذه البلاد أن سبب المجاعة هو احتباس المطر ، وأن الحكومة ستحيي هذه السنة النبوية لحبها الإسلام واحترامها شعائره . وستذاع أنباء هذه المظاهرة الدينية العامة ، فتكون دعاية طيبة لفرنسا في الخارج . . إن الناس في الخارج قلما يعلمون أن عندنا نهيرات تصب مياهها في البحر دون أن نستفيد منها شيئاً ، فلن يصعب عليهم أن يصدقوا أن سبب المجاعة إنما هو الجفاف وقلة الماء .

المقيم : مرحى يا مسيو كعاك هذه فكرة رائعة !

الكعاك : ما أريد عليها أجراً إلا تحقيق مطلبي . . فعجل بذلك يا سيدي ، فخير البر عاجله .

الكاتب : أذكرك يا صاحب الفخامة أنني سأستقيل إن سويت بيني وبينه !

المقيم : إني والله لفي حيرة من أمركما ، لا أدري ماذا أصنع .

الكماك : هل يرضيك ياصاحب الفخامة أن تقع لى حادثة أخرى فتودي بحياتى؟

الكاتب : لا تصدقه يا صاحب الفخامة ، فإنه يجيد السياقة إجادة تامة . . أؤكد لك يا سيدى أنه سائق ممتاز !

الكماك : لو صح هذا لما قضيت هذين الأسبوعين فى هذا المستشفى .

الكاتب : عندى ما يثبت أن حادثة الاصطدام إنما دبرتها أنت عمداً ، وأنك كنت تسوق السيارة ببطء شديد حين صدمت بها الشجرة ، ولولا ذلك لتحطمت وتحطمت أنت معها .

الكماك : هذه دعوى باطلة . . لا تصدقه ياسيدى . . لا تصدقه !

الكاتب : ها هو ذا تقرير الطبيب يوم الحادث (يسلم للمقيم ورقة أخرجها من جيبه)

المقيم : (ينظر هنيهة فى الورقة ثم يقهقه ضاحكا) ويلك يا مسيو كماك . . لقد كشفنا حيلتك !

الكماك : كلا يا سيدى . . إنه هو الذى أوعز للطبيب أن يكتب هذا التقرير الكاذب .

المقيم : صه . . هذا طبيب فرنسى ، لا يجوز لك أن تتهمه بالكذب !

الكاتب : هل بقى للفرنسيين حرمة عند هذا الكماك المغرور !

المقيم : أشهد إنه لبارع فى اصطناع الحيل !

الكماك : أؤكد لك ياصاحب الفخامة إنها لحادثة صحيحة ، وليست حيلة .

المقيم : (يستمر فى ضحكه) ويلك يامسيو كماك . . إنك لتذكرنى بأولئك الشحاذين الذين يفتعلون العاهات المختلفة فى أبدانهم ليستدروا بها عطف الناس !

« ستار »

اللهم حوالينا ولا علينا

(١)

في ديوان الإقامة العامة بتونس

المقيم العام يستقبل وفدا من أعيان المدينة ووجهائها

المقيم : مرحبا بكم ، وان كنت أكره هذا التظاهر والتجمع وإرسال الوفود !

لسان الوفد : نحن وفد سلام وخير ياصاحب الفخامة .

المقيم : وهل كنت أستقبلكم لولا ثقتي بولائكم لفرنسا ، وحسن إدراككم لمصلحتكم ومصلحة بلادكم الحقيقية ؟ ولكن هذا التظاهر منكم سيدفع الناس إلى القيل والقال ، وقد يجرئهم على الشكوى والشغب .

لسان الوفد : بل جئنا ياصاحب الفخامة لنساعد على الحيلولة دون وقوع هذا المحذور . لقد شاع في الناس أنكم سترفضون المعونة المالية التي قررتها الجامعة العربية لإغاثة المنكوبين بالمجاعة في هذه البلاد ، فرأينا أن الجدير بحسن سياستكم أن تصدروا بيانا لتكذيب هذه الاشاعة .

المقيم : ويلكم ، أقد مستكم عدوى الاعتراض على أوامر الحكومة وقراراتها ؟

لسان الوفد : كلا . . إننا لا نعترض على شيء ، وإنما نؤدي ما علينا من واجب النصح ، فلو أصدرتم هذا البيان لماتت الإشاعة الخبيثة !

المقـــيم : لـكن هذه ليست إشاعة لقد قررنا فعلا أن نرفض تلك المعونة كما رفضنا مثلها فى العام الماضى .

لسان الوفد : هلا تراجعون الحكومة فى هذا القرار ، فإن المجاعة قد أخرجت النفوس من صوابها ، فلا يؤمن أن تثور ثورة اليأس على من يحرمها معونة إخوان لهم فى الخارج .

المقـــيم : دعهم يثوروا فسنعرف كيف نـكبح جماحهم ! إن علينا أن نعلمهم المعنى الصحيح للوطنية ولو بالقوة ، حتى يفهموا أن استمساكنا بحرية البلاد واستقلالها هو الذى حملنا على رفض هذه المائتى ألف جنيه ، لأننا نعتبرها ذريعة للتدخل فى شئون تونس من دول أجنبية !

لسان الوفد : لـكن هنا لا يعتبرون الدول العربية من الدول الأجنبية التى تطمع فى بلادهم !

المقـــيم : هذا ما يجعل خطر هذه الدول العربية أشد وأعظم ، ويجعل مهمتنا فى مكافحتها وإحباط مساعيها أشق وأصعب . أواه ! متى يفهم التونسيون والجزائريون والمراكشيون أن الجامعة العربية تريد أن تبتلع بلادهم ، وتفرض عليهم نفوذها وسيطرتها ؟

لسان الوفد : ليس هذا فى الإمكان ياصاحب الفخامة ، فقد عرف المغاربة جميعاً مبادىء الجامعة العربية وجهودها لتحرير العرب والدفاع عن حقوقهم ، وأن ميثاقها يعترف لكل دولة بكيانها ، ويمنع التوسع من بعض دولها على حساب بعض ، فخير لفرنسا أن تعترف بهذه الحقيقة ، فتخطب ود الجامعة العربية ، وتحاول الاتفاق معها على ما فيه مصلحة هذه البلاد . وحبذا ياصاحب الفخامة لو كان قبول هذه المعونة أول خطوة تخطوها فرنسا فى هذا السبيل .

المقـــيم : كلا ، لقد قررنا رفضها وكفى . إن هؤلاء العرب قوم وقحون ،

فإنهم ما اتعظوا بالموقف الوطنى الرائع الذى وقفته حكومة تونس فى السنة الماضية إذ رفضت قبول معونتهم ، ومنعت الباخرة المصرية من الرسو بمياهها ، وأرغمتها على الانسحاب إلى مالطة . وها هم يعودون اليوم لمثل هذا العمل ولا يرتدعون . فماذا يكون حالهم معنا لو أننا اعترفنا لهم بحق التدخل فى شئون بلاد المغرب ! قوم لا تزال القوات الإنجليزية تحتل بلادهم ، وهم مع ذلك يريدون أن يستعمروا الآخرين ! . . يحاولون استعمار السودان ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش . . ومن يدرى لعلهم يطمعون فى فرنسا أيضاً أبعد ذلك ! حمق وجهل واستهتار بحقوق الأمم ومواثيق الدول ؟ !

لسان الوفد : لا تؤاخذنى يا صاحب الفخامة إن قلت لك إن هذه صورة للجامعة غير صحيحة ، فإذا أخذت بها فرنسا فإنها لا تضر إلا نفسها .

المقيم : إن فرنسا لا تنخدع وهى تعرف عن الجامعة كل شىء . فلدينا مكتب سرى فى قلب القاهرة يطلعنا على أسرار دول الجامعة أولا بأول . ونحن الذين قضينا على الفاشية الطاغية فى أوربا ، لن نترك هذه الفاشية العربية حتى نقضى عليها .

لسان الوفد : من الصعب يا صاحب الفخامة مقارنة الحركة العربية بالفاشية فى أوربا .

المقيم : بل هما من معدن واحد . كلتاهما نبذت الدين ، وأغرقت فى اعتناق العنصرية .

لسان الوفد : إن العرب لم ينبذوا دينهم يا صاحب الفخامة .

المقيم : بل نبذوه واطرحوه ، واعتنقوا الفاشية العربية . ألم تروا كيف تآمروا على فرنسا حتى أخرجوها من سوريا ولبنان ، لا لشىء إلا لأن فرنسا كانت حريصة على أن يحتفظ السوريون واللبنانيون

بدينهم : المسلمون بإسلامهم ، والمسيحيون بمسيحيتهم . فقد أصبحوا اليوم خليطا لا حدود بينهم ولا فوارق ، وصار الشاعر المسيحى يمدح نبى الإسلام ويشيد بمجده ودينه ، والشاعر المسلم يمدح المسيح ويمجد المسيحية . أرأيتم استهتاراً بالدين أكثر من هذا ؟ أفيريدون منا أن نسكت لهم حتى يدخلوا هذه الغاشية إلى بلاد المغرب ليقضوا على إسلامها الصحيح وتمسك أهلها بدينهم .

لسان الوفد : إنكم لشديدو الحرص على الإسلام !

المقـيم : لم لا ؟ إن الاسلام لدين معقول ، وقد أمر بطاعة أولى الأمر ، ونحن أولو الأمر فى هذه البلاد . فعلى أهلها طاعتنا بحكم دينهم . ويأتى أعداء الإسلام من عرب المشرق ليغروا المغاربة بالخروج على أولى أمرهم لينسلخوا بذلك من دينهم . كلا والله لا نمكنهم من القضاء على الإسلام فى بلاد المغرب . نحن حماة الإسلام فى هذه الديار . وسنظل نحميه فيها إلى الأبد . ولن تتكرر مأساة سوريا ولبنان !

(٢)

المقيم العام والكاتب العام ورئيس الوزارة

المقيم : ما رأيك يا مسيو كعاك فى الوفد الذى جاءنى أمس ؟

الكعاك : قوم لا غبار عليهم ولا يشك فى إخلاصهم وولائهم للحكومة .

الكاتب : ماذا تنتظر من الكعاك أن يقول عن هؤلاء الأغبياء إلا خيراً ؟ إن ترد نصيحتى فحذار أن تثق بتونسى أبداً .

الكعاك : إن صاحب الفخامة استشارنى والمستشار مؤتمن ، وله بعد ذلك أن يقبل رأيى أو رأيك .

الكاتب : أراك تنتهز كل فرصة لتظهر نفسك فى منزلة مساوية لمنزلتى !

الكماك : ما أرانى فى حاجة إلى ذلك وقد سوّى بيننا قانون المشاركة فى الحكم ولكنى أراك تنتهز كل فرصة لتظهر نفسك أعلى منزلة منى .

الكاتب : أنا أعلى منزلة منك على رغم أنفك !

المقيم : كفّا عن هذه الملاحاة فما هذا بوقتها . إن أمامنا مسألة خطيرة . يخيل إلىّ أن رفض معونة الجامعة العربية قد أثار فى نفوس الناس السخط الشديد على الحكومة ، وأن رجال الوفد كانوا على حق فيما أنذرونا به .

الكاتب : لقد أظهر الناس مثل هذا السخط فى العام الماضى ثم سكتوا .

المقيم : لكن سخطهم اليوم أشد وأعظم . . أليس كذلك يا مسيو كماك ؟

الكماك : أخشى إن قلت رأيى أن أزعج سعادة الكاتب العام !

المقيم : كلا لاتخش هنا شيئاً ، قل رأيك بصراحة تامة .

الكماك : فرأيى هو رأى فخامتك . إن سخطهم اليوم أشد وأعظم وقد يؤدى إلى انفجار .

المقيم : فماذا تقترح يامسيو كماك لتلافى هذا الخطر ؟

الكماك : المبادرة بإقامة صلاة الاستسقاء العامة . فهذه الظاهرة الدينية هى التى ستسكّن النفوس الثائرة وتقطع ألسنة الشكوى من الداخل والخارج

الكاتب : ليس عندك إلا هذا الاقتراح السخيف . تكرره فى كل مناسبة .

الكماك : اعرض أنت اقتراحك ولصاحب الفخامة أن يختار .

المقيم : يعجبنى منك يامسيو كماك فهمك للسياسة الجديدة التى شرعت فرنسا تجرى عليها .

الكماك : مقاومة القومية العربية بحجة مناصرة الإسلام !

المقيم : أجل ...

الكماك : لاتعجب ياصاحب الفخامة . فعندى نسخة من تقرير (معهد الشئون الإسلامية بباريس) الذى يوصى باتباع هذه السياسة .

الكاتب : هذا التقرير كان فى مكتبى ثم افتقدته ، فلاريب أنك أنت الذى اختلسته منى !

الـكماك : لاداعى لهذا التلفيق . إن شئت أعرتك النسخة التى عندى لتطلع على هذا التقرير الهام وتـكون على علم به ! ولـكن إياك أن تظن أن مجرد اطلاعك عليه سيجعلك مثلى فى القدرة على تطبيقه . هل تظن أنه ذكر صلاة الاستسقاء مثلا ؟

الـكاتب : لاريب أنك نقلت هذا الاقتراح منه .

المقيم : كلا ، لم يرد لهذا الاقتراح ذكر فى التقرير .

الـكماك : هذا من تخريجى أنا وحسن تطبيقى لقواعده ، وفهمى لروحه .

الـكاتب : إننى أعترض ياصاحب الفخامة على العمل بهذا الاقتراح .

المقيم : أمن أجل كرهك للـكماك ترفض اقتراحه المفيد ؟

الـكاتب : لا ياصاحب الفخامة ولـكنى سألت أحد المشايخ الفقهاء عن هذه الصلاة ، فأكد لى أنها ستسبب نزول الغيث حقا وزوال القحط والمجاعة . . . وهذا مما يهدد مصلحة فرنسا ويتعارض مع سياستها العليا .

المقيم : ماتقول فى هذا يامسيو كماك ؟

الـكماك : قد يخشى هذا حقا ياصاحب الفخامة لو يؤمهم فى الصلاة رجل مسلم ولـكنك أنت الذى ستصلى بهم . فنأمن بذلك هطول المطر ، ونؤكد فى الوقت نفسه ولايتك للأمر من حيث أن ولى أمر المسلمين هو الأجدر بأن يؤمهم فى مثل هذه الصلاة

المقيم : ما ألمع ذهنك يا مسيو كماك :

الـكماك : ماهذا بعجيب ياصاحب الفخامة ، وإنما العجب هو تمكنك من حذق صلاة الاستسقاء فى مثل هذه المدة الوجيزة ، وأنت فرنسى بعيد عن هذه الشعائر الإسلامية .

المقيم : لقد بذلت جهداً كبيراً فى تعلمها ، كما لا أنسى فضل المشايخ الفقهاء الذين تولوا تعليمى وتلقينى .

الـكماك : إنى أراهن على أن سعادة الـكاتب العام لو حاول أن يتعلم صلاة الاستسقاء لاحتاج فى ذلك إلى أعوام !

الـكاتب : أمسك لسانك عنى يالـكع ، وإلا ...

المقيم : لاشجار عندى ولاخصام .

(٣)

غرفة فى مبنى حكومى صغير خارج المدينة ، تطل شبابيكها على الخلاء الواسع الذى أقيمت فيه صلاة الاستسقاء .

(يدخل المقيم والكاتب والـكماك وهم ينفضون بلل المطر عن ثيابهم)

المقيم : ويلك يا كماك . . . لقد نزل الغيث حقا !

الـكماك : (متضاحكا) هذا ذنبك يا صاحب الفخامة ، إذ أديت الصلاة بخشوع عظيم ، فلا غرو أن يهطل المطر .

المقيم : إنى أراك تضحك ... ليس هذا أوان الضحك ولا موضعه !

الكاتب : قد أنذرتك يا صاحب الفخامة ألا تتبع مشورة هذا الأحمق ، فما أطعتنى حتى وقع هذا المحذور .

المقيم : ألم تؤكد لى يا كماك أن المطر لن ينزل ؟

الـكماك : كنت على ثقة بأنك غير مسلم ، وغير متوضىء ، فلا يمكن أن يستجيب الله دعاءك .

المقيم : فها هو ذا المطر قد نزل مدراراً ، فماذا تقول ؟

الـكماك : لعلك أسلمت يا صاحب الفخامة !

المقيم : اخرس !

الـكماك : ولو سراً يا صاحب الفخامة !

المقيم : لا سراً ولا جهراً ... حذار أن تقول مثل هذا أمام الناس !

الـكماك : لا بد أنك أسلمت من حيث لا تدرى !

المقيم : من حيث لا أدرى ؟ كيف ؟

الكماك : جائز أن طيف الإسلام جاء إليك فاعتنقته وأنت نائم !

المقيم : ماذا تقول ويلك ؟

الكاتب : يا صاحب الفخامة إنه يعمد إلى هذه التخريجات السوفسطائية بغية التنصل من تبعته . لقد كان يعلم أن المطر سينزل بهذه الطقوس السحرية التى يزاولها المسلمون ، فدعانا إلى إقامتها ليخضر هذا الوادى الجاف ، فترعى فيه مواشى البدو وأغنامهم فتخف عنهم المجاعة . هذه هى المؤامرة التى دبرها هذا التونسى الخائن !

الكماك : أحلف لك بالله يا صاحب الفخامة إنى ما دبرتها ، وما كانت منى فى تقدير . ونحن على كل حال قد حققنا بهذه الصلاة العامة غرضا من أغراضنا ، وهو الدعاية الطيبة لفرنسا فى الداخل والخارج .

المقيم : ولكن هذا الغيث سيعطل ركنا هاما من أركان سياستنا العليا ، ألا وهو إجاعة هؤلاء البدو لاستئصال شأفتهم حتى ينقرضوا كما انقرضت الزواحف فى عصور ما قبل التاريخ !

الكاتب : لقد قصد الكماك خدمة هؤلاء الأعراب من قومه على حساب فرنسا ، فهو خائن لفرنسا ، ويجب عزله من الوزارة !

الكماك : لست بمجنون فأوثر خدمة هؤلاء الأجلاف على خدمة مولاتى فرنسا العظيمة .

الكاتب : دعنا من هذا الملق ، فقد شبعنا منه .

المقيم : إن أردت الخلاص يا كماك ، ففكر لنا فى مخرج من هذا المأزق .

الكماك : إذا نفذ القضاء على رغم إرادتنا ، واعشوشب الوادى ، فإنى أقترح أن تعلن الحكومة جعل هذا الوادى حمى لها حراما على غيرها ، فترسل ماشيتها وخنازيرها لترعى فيه . وهكذا تستفيد الحكومة دون أن تخاف على مجاعة البدو شيئا .

المقيم : هذا اقتراح لابأس به ، ولكن يصعب تنفيذه .

الكاتب : بل يستحيل تنفيذه ياصاحب الفخامة . فمن ذا يستطيع أن يحرس الوادى الواسع ويمنع البدو من الرعى فى أطرافه ؟ إننى أتهم الكعاك بخيانة فرنسا ، وأطالب بعزله من الوزارة !

المقيم : لا سبيل إلى هذا إلا إذا ثبت أنه تعمد هذه الخطة .

الكعاك : أقسم بالله إنى ما تعمدتها ياصاحب الفخامة ، وانى لأشد الناس إخلاصاً لفرنسا !

المقيم : قد كان عليك أن تحتاط حتى لا يقع مثل هذا المحذور .

الكعاك : إنى فى الواقع غير مسئول عما وقع ياصاحب الفخامة .

المقيم : فمن المسئول ؟

الكعاك : أنت ياصاحب الفخامة ، وهذه البهائم التى تراها فى هذا الخلاء !

الكاتب : ويلك ياوقح ! أتقرن صاحب الفخامة بالبهائم ؟

الكعاك : نعم ، لأنهما اقترنا فى هذا السبيل . . . كلاهما مسئول عما وقع اليوم

الكاتب : هل تسمع ياصاحب الفخامة ما يقول ؟

المقيم : على الكعاك أن يفسر لنا هذه التقليعة . .

الكعاك : أنت مسؤول ياسيدى لأنك صليت صلاة لا يستطيع شيوخ المسلمين أنفسهم أن يؤدوا مثلها ! وهذه البهائم تشاركك فى المسئولية لأنها هى التى استدرت عطف السماء ورحمتها بما ظهرت به من الضعف والهزال البالغين ! ولا أدرى كيف لم أفطن إلى هذه الحقيقة من قبل . . . إذن لأمرت بنتيجة هذه المناظر المؤلمة فى وقت الصلاة .

الكاتب : إياك ياصاحب الفخامة أن تنخدع بأعذاره هذه التى يختلقها اختلاقا . . انه قد تسبب عمداً فى إنزال المطر خيانة لفرنسا ، وكيدا لها ، فيجب عزله وعقابه !

المقيم : إن المطر يشتد يا كعاك ، وإن جرمك ليتعاظم معه .

الـكعاك : هل تعفو عنى إذا انقطع الساعة هذا المطر ؟

الـكاتب : أبعد أن شرب الوادى وقضى الأمر ؟ . .

المقيم : لا بأس . . . سنعفو عنه إذا أوقف المطر الساعة .

الـكاتب : لعنة الله على هؤلاء السحرة ! . .

الـكعاك : (يتصفح كتابا فى يده) ويلى ! . . كيف غاب عنى أن الإسلام قد جعل لـكل شدة فرجا ومن كل ضيق مخرجا ؟ ! . .

المقيم : ما هذا الـكتاب الذى فى يدك ؟ . .

الـكعاك : مختصر خليل فى الفقه . . ها أنذا قد وجدت حل المشكلة ! . سينقطع المطر الساعة حالا ! . .

المقيم : كيف ؟ . .

الـكاتب : قد قلت لك إنهم سحرة ! . .

الـكعاك : لقد اهتديت إلى الدعاء الذى يقطع المطر عن جهتنا ، ويصرفه إلى جهات أخرى ، فقولا معى : « اللهم حوالينا ولا علينا ! »

المقيم والـكاتب : اللهم . . .

الـكعاك : اللهم حوالينا . . ولا علينا . . . اللهم حوالينا ولا علينا ! . .

الاثنان : اللهم حوالينا ولا علينا !

الـكعاك : أجل هكذا ، دعونا الآن نأمر الناس أن يرددوا معنا هذا الدعاء .

(يطل الثلاثة من شبابيك الغرفة)

الثلاثة : « يصيحون » : أيها الناس رددوا معنا هذا الدعاء : اللهم حوالينا ولا علينا ! . .

صوت : (يرتفع من أعماق الوادى) : أيها الناس ! . ان هؤلاء الفرنسيين يريدون أن يمنعوا رحمة الله عنكم ، فخالفوهم فى الدعاء ، وقولوا بصوت واحد : اللهم علينا لا حوالينا ! . .

جموع الأهالى : اللهم علينا لا حوالينا ! ! . .

الصوت : هذه فرنسا قد سلّطت عليكم مجاعة الأرض ، ونريد أن تمنعكم من رحمة السماء ، فالعنوها وادعوا عليها في هذه الساعة المستجاب فيها الدعاء !.

الجموع : (يرددون) : اهلك فرنسا يارب ! . . صب العذاب يارب ! . . على فرنسا يارب ! . .

الكاتب : أرأيت ياصاحب الفخامة كيف أوقعنا الكعاك في هذه الورطة !.. كيف أثار علينا هؤلاء الغوغاء ؟ . .

الجموع : أهلك فرنسا يارب ! صبّ العذاب يارب على فرنسا يارب ! . .

المقيم : ماهذا يا كعاك ؟ . .

الكعاك : سبحان الله ... هل أمرتهم أنا بذلك ؟ .. لقد أردت أن أقطع المطر بهذه الدعوة النبوية ولكنهم أبوا أن يدعوا بها ودعوا بنقيضها . فماذا أصنع ؟ .

الكاتب : إنهم لم يدعوا بنقيضها فحسب ، بل جعلوا يلعنون فرنسا ويدعون عليها بالعذاب والهلاك ؟ .. كل هذا كان بتدبيرك ! .

الجموع : أهلك فرنسا يارب ! .. صب العذاب يارب على فرنسا يارب !

صوت آخر : (يرتفع) : ويلكم أيها المسلمون ! . . هل يهلك الله فرنسا إلا بسواعدكم ! أتنتظرون أن يرسل الله إليكم جنوداً من السماء لتنقذكم ؟ .. هاهى ذى فرنسا ببغيها وجورها ممثلة في هؤلاء الثلاثة المتحصنين من رحمة الله في ذلك الحصن ، فدونكم فاقتلوهم ! . .

أصوات الجموع : اقتلوا الثلاثة !

الكاتب : هل سمعت ياصاحب الفخامة كيف ينادون بقتلنا .. إن حياتنا الآن في خطر ... كل هذا من الكعاك ! ..

الكعاك : مني أنا ؟

المقيم : أجل .. مامن شيء تقترحه إلا جاءنا بشر !

الكعاك : إنهم لايريدون قطع المطر عنهم .. ودعاؤنا هو الذى أغضبهم ، فان أذنت لى ياصاحب الفخامة دعوت مثل دعائهم فربما تهدأ ثائرتهم !

المقيم : اتستشيرنى فى مثل هذا الموقف الحرج ؟ افعل ماتشاء . أنقذنا من هذا الخطر بأى سبيل !

الكعاك : (يصيح مطلا من الشباك) : إخوانى ! يامعشر المسلمين ! كان فخامة المقيم العام قد أشفق عليكم من شدة المطر وخشى أن يغرقكم السيل ، فأمرنا أن ندعو ذلك الدعاء لرفع هذا البلاء . أما إذا أبيتم إلا الاستزادة من المطر فنحن الثلاثة مستعدون لندعو بمثل ماتدعون اللهم علينا لاحوالينا !

المقيم : (يصيح مطلا) اللهم علينا لاحوالينا !

الكاتب : (مثله) : اللهم علينا لاحوالينا !

(تتهاوى الحجارة على الشبابيك فينسحب الثلاثة إلى الداخل)

المقيم : إنهم يرجموننا بالحجارة .

الكاتب : لافائدة من محاولة إيقافهم ... إنهم ينوون بنا الشر .

المقيم : لعنة الله عليك يا كعاك لقد أضعت هيبتنا عند هؤلاء الغوغاء !

الكاتب : دعنا نهرب ياصاحب الفخامة قبل أن تضيع حياتنا أيضاً .

المقيم : أجل إنهم سيهجمون علينا فلننزل إلى جيادنا قبل أن يستولوا عليها .

الجموع : (تهتف من بعيد) اقتلوا الكلبين الفرنسيين ! اقتلوا الكلب التونسى !

الكاتب : اسمع يا كعاك ! حتى هولاء الغوغاء لاينسون الفرق بيننا وبينك . عندهم والله ذوق !

الكعاك : عجبا لك . هل يختلف عندك كلب عن كلب ؟

الكاتب : طبعا . كلاب فرنسا غير كلاب تونس !

الجموع : (تهتف من بعيد) اقتلوا الكلاب الثلاثة ! الموت للكلاب الثلاثة !

الكعاك : هاهم قد سوّوا بيننا الآن :

الكاتب : جهلة ! أغبياء ! أجلاف !

الكعاك : بل يعلمون أن الكلاب كلها ترجع إلى قطمير .

الكاتب : ماذا تعنى بقطمير ؟

الكعاك : قطمير هو جدك الأعلى . . أول كلب ظهر على البسيطة !

الكاتب : (يأخذ بتلابيبه غاضباً) أيهذا اللعين . . ؟

الكعاك : لا تغضب . . هو جدى أيضا وجد كل كلب فى العالم !

الكاتب : كلا . . محال أن يكون جدى هو جدك

الكعاك . بل جدى هو جدك . . إن كنا كلابا كما يزعم هؤلاء الغوغاء لجدنا قطمير ، وإن كنا بشراً كما نزعم لأنفسنا لجدنا آدم .

القيم : لعنة الله عليكما . . أفى مثل هذه الساعة تتلاحيان ؟ هيا بنا إلى الجياد !

الكاتب : أجل . قبل أن يستولوا عليها .

الكعاك : فلا يبقى لنا مفر .

(يتوجه الثلاثة نحو الباب ليخرجوا)

الجموع : (تدنو أصواتها) الموت للكلاب الثلاثة !

الكعاك : (للكاتب) اسمع !

الكاتب : (فى غضب) اخرس !

(يخرج الثلاثة منطلقين)

« ســـتار »

المقراض

(فى مكتب الرئيس بالقصر الأبيض)

السكرتيرة : إنه يعلم يا سيدى أنك فى مكتبك .

الرئيس : فقولى له إذن إنى متوعك وقولى له أيضا إنه هو الذى أعدانى بزكامه لما جاءنى منذ يومين فهل يريد أن يعدينى اليوم بفقره وإفلاسه ؟

السكرتيرة : لكن يا سيدى . . . .

الرئيس : قولى له ذلك ولا تخافى فإن هذا السفير البريطانى صفيق ولا يحس !

السكرتيرة : إنه يقول إن الأمر خطير .

الرئيس : خطير ... هل عرضت امبراطوريتهم فى المزاد الدولى ؟ أم هل أكلت تماسيح النيل جنودهم فى القنال ؟

السكرتيرة : لا ينبغى ذلك يا سيدى ... إنه رجل مهذب ...

الرئيس : هيه يا سكرتيرتى الصغيرة ... لعلك أعجبك هندامه فخطر لك أن تأخذى بالثأر من امرأة المستر ايدن التى سرقت رجلا أمريكيا ونبذت زوجها الأنيق ؟

السكرتيرة : (محتجة) ما هذا يا سيدى ؟

الرئيس : يا حمقاء إن صاحبنا الأمريكى الذى سرقته امرأة وزير خارجيتهم رجل مليونير ... أما سفيرهم هذا فإنه لا يساوى بكل ملابسه ونظاراته وبيبته خمسمائة دولار حتى ولو صنعنا من المواد التى فى جسمه صابونا مثلا كما كان هتلر ...

(يخنقه البكاء عن إتمام كلامه)

السكرتيرة : يا ويلتا ... إنك لتبكي يا سيدى الرئيس ... ماذا يبكيك ؟

الرئيس : ويلك ألا تعرفين ماذا أبكانى ؟ حزنى على أولئك السادات الذين صنع هتلر من زيوت أجسامهم صابونا ... هيّا اخرجى فقولى لهذا السفير البريطانى ما أمرتك .

السكرتيرة : سمعا يا سيدى (تخرج) .

الرئيس : (يتمتم محدثا نفسه) أبكى ... علام أبكى عليهم ؟ ما أشد حمقى ! وددت لو أن الملعون هتلر قد تخلص منهم جميعاً ... إذن لخف ظهرى من ثقل الأفضال التى يمنّون بها علىّ !

(تعود السكرتيرة)

الرئيس : هل طردت السفير ؟

السكرتيرة : كلا يا سيدى . .

الرئيس : ويلك لِمَ لم تفعلى ما أمرتك ؟

السكرتيرة : وجدت معه سفير اسرائيل يستأذن أيضاً لمقابلتك

الرئيس : سفير اسرائيل ! انطلقى فائذنى له !

السكرتيرة : وسفير انجلترا هل آذن له أيضاً ؟ .

الرئيس : اتركيه أولا حتى نفرغ من استقبال سفير اسرائيل !

(تخرج السكرتيرة ثم تعود ومعها السفيران اليهودى والانجليزى)

الرئيس : مرحبا مرحبا بسفير اسرائيل ! بعد . . أنتما اثنان وإنما أذنت لواحـــد فقط . . هل لك يا مستر جونبول أن تنتظرنى فى بهو الاستقبال حتى أفرغ من مقابلة المستر كوهين لعله يريد أن يحادثنى على انفراد ؟

اليهودى : كلا يا سيدى الرئيس . . إن الأمر بينى وبين سعادة السفير البريطانى مشترك .

الرئيس : مرحباً بكما إذن . . تفضلا .

الانجليزى : (يمد يده ليصافح الرئيس) ألا تصافحنى أنا أيضا ياسيدى الرئيس؟

الرئيس : لا داعى للمصافحة يا مستر جونبول فقد أعديتنى بزكامك لما جئتنى منذ يومين .

الإنجليزى : يؤسفنى ذلك يا سيدى الرئيس .

الرئيس : ماذا ينفع الأسف الآن ؟ تفضل . . اجلس .

اليهودى : ألم تأت المسز روزفلت بعد ؟

الرئيس : المسز روزفلت . . دائما يا مستر كوهين تسأل عن المسز روزفلت ! ما شأنها اليوم بيننا ؟ لقد أخذت كل حوائجها من البيت الأبيض يوم غادره زوجها المر . . . إلى غير رجعة !

اليهودى : (فى تهديد مستتر) تذكر يا سيدى أن لها مكانة فى نفوس قومنا وأننا قد نستغنى عن خدمات غيرها ولكنا لن نستغنى عن خدماتها ابداً !

الرئيس : معذرة يا سيدى . . انس ما قلته فى حقها وهبه كأن لم يكن .

السكرتيرة : (تظهر على الباب) المسز روزفلت يا سيدى .

الرئيس : أخرجيها حالاً !

السكرتيرة : (متعجبة) أخرجها ؟ !

الرئيس : أيتها السكرتيرة البليدة . . أخرجيها من بهو الانتظار وأدخليها هنا حالاً !

السكرتيرة : تفضلى يا مسز روزفلت ! (تدخل المسز روزفلت)

الرئيس : أهلاً بربة البيت الأبيض سابقاً ! !

هى : يا سيدى الرئيس إن الذين فى أيديهم أن يقرروا « سابقاً أولاحقاً » هم جماعة هذا السفير الاسرائيلى الكريم !

الرئيس : أوه . . لقد زلّ لسانى مرة أخرى . . تفضلى يامسز صهيون . . تفضلى!

هى : (غاضبة) ماذا تقول ؟

الرئيس : لا تغضبي .. لقد ظننت أن هذا لقب تشريف لك .

هي : أجل إنه للقب تشريف ، ولكني لا أدعى هكذا فى الناس .

الرئيس : إذا أبيت إلا التواضع يا سيدتى فسأدعوك مسز روزفلت ... تفضلى يا مسز روزفلت !

اليهودى : تعالى يا سيدتى اجلسى هنا بينى وبين المستر جونبول

هي : شكراً يا مستر كوهين

(يتهامس الثلاثة)

الرئيس : عجبا ... إنكم تتهامسون أنتم الثلاثة ... كأنكم كنتم على ميعاد لتقابلونى ؟

اليهودى : نعم

الرئيس : ترى ماذا حدث فى الدنيا وأنا لا أعلم ؟

اليهودى : المقراض ياسيدى ... المقراض !

الرئيس : المقراض ؟

الإنجليزى: نعم يا سيدى الرئيس ... المقراض .

هي : المقراض الذى سيقطع رقابنا جميعاً !

الرئيس : رقابنا نحن الأربعة ؟

هي : (متأففة) أوه ! هذه كناية .

الرئيس : أفصحوا بحق السماء ... إنى لا أحب الكنايات ولا أفهمها

اليهودى : لقد قُضى على أمل الإنجليز فى التفاهم مع إيران إلى الأبد

الرئيس : أهذا كل ما هناك ؟ ويلكم لقد روعتمونى ! سامحك الله يا مسز صم ... عفواً يامسز روزفلت . إنك تبالغين كعادتك ... هلا قلت : رقبة انجلترا بدلا من قولك : رقابنا جميعاً ؟

هي : بل رقابنا جميعا ... رقبة أميركا أولا .

الإنجليزى: ورقبة اسرائيل أيضاً يا سيدى الرئيس !

الرئيس : يا للداهية ! الأمر إذن أخطر مما تصورت .. لكنكم لم تبينوا لى ما هذا المقراض وأين هو ؟ فى الشرق أم فى الغرب ؟

هى : فى الشرق !

الرئيس : ها قد فهمت ما تقصدون ... هذا المقراض فى يد ستالين ... هه ؟

هى : كلا !

الرئيس : فى يد صاحبه زعيم الصين ؟

هى : كلا !

الرئيس : ففى يد من إذن ؟ أفصحوا ... لقد كدت أجن !

اليهودى : فى يد مصطفى النحاس باشا والدكتور مصدق !

الرئيس : النحاس باشا والدكتور مصدق .. هناك مقراضان إذن ؟

هى : كلا بل مقراض واحد .

الرئيس : ويلكم أتريدون أن تغالطونى فى أبسط قواعد الحساب ؟ ... النحاس باشا واحد والدكتور مصدق واحد . واحد زائد واحد يساوى اثنين !

هى : (متأففة) أوه ! !

اليهودى : تولّ أنت الكلام يا مستر جونبول لعلك تستطيع أن تفهم الرئيس !

الرئيس : ترى هل جاء هذا الأفاق الذى اسمه أينشتين بتقليعة جديدة فغيّر بها قواعد الحساب المعروفة ؟

هى : كف لسانك عن هذا العبقرى فإنه من الشعب المختار !

الرئيس : معذرةً ... لقد غاب ذلك عن بالى ... ماذا أصنع ؟ أنتم الذين أحدثتم فى عقلى هذه البلبلة !

الإنجليزى : أصغ إلىّ يا سيدى الرئيس ...

الرئيس : أجل أدركنى يا مستر جونبول ... اشرح لى !

الإنجليزى : ليس الجمع هو الذى وقع بل الضرب ...

الرئيس : الضرب على رأس مَن ؟

هى : (نافدة الصبر) اوه ! على رؤوسنا جميعاً !

الانجليزى: أعنى الضرب الحسابى ياسيدى الرئيس . . واحد مضروب فى واحد فكم الناتج ؟

الرئيس : واحد طبعا . . لكن من الذى ضرب أحدهما فى الآخر ؟

هى : اوه ! !

اليهودى : دعيه ياسيدتى . . سيتولى المستر جونبول إفهامه !

الرئيس : أدركنى يامستر جونبول . . من الذى ضرب أحدهما فى الآخر ؟

الانجليزى: أنت ياسيدى الرئيس .

الرئيس : أنا ؟

الانجليزى: نعم أنت

الرئيس : هذا محال يامستر جونبول . . فى وسعى أن أثبت للعالم أجمع أننى ما قابلت النحاس باشا فى حياتى قط ولا رأيته !

هى : أوه ! !

الرئيس : (ينفجر غضبا) أوه ! أوه !. فى كل كلمة أقولها تقولين : أوه أوه !!

اليهودى : هدىء من غضبك يا سيدى الرئيس . . دعيه يا سيدتى . . . المستر جونبول سيتولى إفهامه !

الرئيس : أدركنى يا مستر جونبول ويلك ... وإلا قمت من عندكم وتركتكم ؟ أى يوم هذا فى الأيام ؟ لا شك أنه يوم نحس !

الانجليزى: أصغ إلى ياسيدى الرئيس . . . ألم يكن الدكتور مصدق عندكم منذ أيام ؟

الرئيس : الدكتور مصدق . . نعم . لكن النحاس باشا ... لا !

الانجليزى: حسناً ... والتمس منكم قرضا لبلاده ؟

الرئيس : نعم .

الانجليزى: جعلت أنت تماطله حتى غضب .

الرئيس : جعلت أماطله من أجلكم أنتم لأظفر منه بشروط لمصلحة بلادك أنت!

هى : فقد طار الآن إلى مصر !

الرئيس : وما ذنبي فى ذلك ؟ هل كان فى مقدورى أن أمنعه عن الرحيل حتى لو أراد الرحيل إلى الكرملين ؟

اليهودى : ياليته طار إلى الكرملين ! إذن لكان الخطب أهون !

الرئيس : ماذا تقول يامستر كوهين ؟ ويلكم ... ماذا جرى ؟ ماذا حدث ؟

هى : كل هذا من سوء تصرفك ... آه لو كان زوجى حيا !

الرئيس : (محتـداً) دعينى من حديث زوجك ... أنا صاحب القصر الأبيض اليوم !

اليهودى : لا تختصما هكذا . . إن الخطر الذى يتهددنا جميعا لأعظم من أن نتخاصم فيه .

الرئيس : إنى والله ما أدرى هـذا الخطر الذى تتحدثون عنه . . ألا تخبرونى ما هو .

هى : (متشفية) أحقرُ مواطن أمريكى ولو كان من الزنوج السود يستطيع أن يدرك الخطر من زيارة الدكتور مصدق لمصر فى هذه الظروف الحرجة !

الرئيس : ومن قال لك إنى لا أدرك هذا الخطر ؟ ألم تعلمى أنى قد كلفت سفيرنا فى إيران بأن يرفع إلى جلالة الشاه عدم ارتياحنا لتلك الزيارة

هى : وهل أجدى ذلك شيئا ؟

الرئيس : ما ذنبي أنا فى ذلك ؟

هى : ألم تعرف بعد ما ذنبك ؟ ما طلته فى القرض حتى يئس وغضب !

الرئيس : هذا ليس ذنبي .

هى : ذنب من إذن ؟

الرئيس : (ثائرا مهتاجا) ذنب هذه الدولة التى نرقّع فيها دون جدوى ! . . هذه الدولة التى صارت عبأً على ظهورنا لا يطاق . . هذه الدولة التى تريد منا دائماً أن نطعم رجالها ونساءها وأطفالها من مالنا ونكسوهم وننفق على مساكنهم ومصانعهم وملاهيهم ! هذه الدولة التى أصبحت شبحاً لا حقيقة له وهى لا تزال تسمى نفسها « بريطانيا العظمى » !

الانجليزى: (يتضاحك) سامحك الله يا سيدى الرئيس . . .

الرئيس : وتضحك أيضا يا مستر جونبول ؟ !

الانجليزى: ماذا أصنع ؟ شرُّ البلية ما يضحك . . لو أنك راجعت نفسك قليلا لتذكرتَ يا سيدى أننا لا ذنب لنا فى مسألة القرض الذى طلبته إيران منكم .

الرئيس : ويلك ألم ترفع إلينا رجاء حكومتك أن ننظر بعين الاعتبار إلى مصالحكم فى إيران ؟ أتنكر اليوم ذلك ؟

الانجليزى: كلا يا سيدى ولكننا لم نطلب مماطلتكم للدكتور مصدق ، بل طلبنا منكم التعجيل له بعقد القرض مع اشتراط ما يحفظ لنا بعض المصالح فى إيران مما يمكن التفاهم معها عليه .

هى : ولكنك ماطلت وسوّفت واحتجبت عن لقاء هذا الزعيم الخطير حتى طار من يدك ؟

الرئيس : أو يهمك يا مسز روزفلت صالح بريطانيا العظمى إلى هذا الحد ؟ لعلك تفعلين ذلك من أجل الصداقة التى كانت بين المرحوم زوجك والمرحوم الآخر الذى اسمه تشرشل !

هى : كفى سخرية ! مصلحة بلادى هى التى تهمنى . . مصلحة الولايات المتحدة التى أنت اليوم رئيسها !

الرئيس : لكننا لم نفقد شيئاً بعد

هى : بل فقدنا كل شىء . . فقدنا الأرباح التى كانت ستعود على بلادنا من ذلك القرض الذى لم يتم .

الرئيس : لكن ما ذنبى أنا فى ذلك ؟

هى : سياسة المماطلة التى اتبعتها مع الدكتور مصدق . . . هـذا ذنبك ألم تفهم بعد ؟

اليهودى : رويدك يا سيدتى . . لا داعى الآن للوم الرئيس على ما قد فات . وعلينا أن نفكر جميعاً فيما يمكن تلافيه .

هى : كلا يا مستر كوهين . . لا بد من إثارة هذه المسألة فى الكونجرس !

اليهودى : لا داعى ياسيدتى إلى ذلك .

هى : كلا بل لا بد من ذلك . إن دستورنا لم يخوّل رئيس جمهوريتنا السلطات الواسعة إلا ليحسن استعمالها فى رعاية مصالح البلاد على الوجه الأتم وبأقصى السرعة الممكنة ، لا ليضيع بها مصالح البلاد ويفوت عليها المنافع والأرباح !

الرئيس : اسمعى يا مسز روزفلت وافهمى ما أقول . إنك لن تجرئى أن تثيرى هذه المسألة فى الكونجرس .

هى : ماذا يمنعنى من ذلك ؟ لست امرأة فرانكلين روزفلت إن لم أفعل !

الرئيس : لقد تبرأت إذن من روزفلت فانظرى إلى من تنتسبين ؟

هى : سوف ترى !

الرئيس : أتريدين أن تعرفى السبب ؟

هى : نعم أريد أن أعرف هذا السبب

الرئيس : حكومة اسرائيل هى التى أوعزت إلينا أن نماطل الدكتور مصدق حتى يدرك — وهو الذكى الألمعى — أن سبيله إلى تحقيق هذا القرض هو أن تعود حكومة بلاده إلى الاعتراف باسرائيل وإنشاء روابط المودة معها كما تفعل جارتهم تركيا .

هي : كلا . . لو كان هذا حقاً لبلغني ذلك فإن ساسة إسرائيل لا يخفون عني شيئاً .

الرئيس : فقد أخفوا عنك هذا الأمر في هذه المرة . . اعلمي يا مسز روزفلت وليعلم صاحبك المستر تشرشل أنه بعد ما نفق ذلك الإفريقي الذي اسمه سمطس لم يعد في الدنيا أحد يساميني في المنزلة عند هؤلاء القوم

هي : أصحيح يا مستر كوهين ما زعمه الرئيس أن حكومتك هي التي أوعزت بالمماطلة ؟

اليهودي : نعم يا سيدتي قد كان ذلك مع الأسف .

هي : (تنهض غاضبة) فاعتمدوا إذن بعد اليوم على غيري !

اليهودي : إلى أين يا سيدتي ؟ ألا تبقين هنا حتى ننتفع برأيك ومشورتك ؟

هي : كلا لم يعد لي في هذا المجلس مكان ! (تخرج)

الرئيس : دعها تخرج . . أي رأي عندها وأي مشورة ؟ ما للمرأة والسياسة ؟ للمرأة أن تحترف الغناء مثلا إذا كان صوتها عذبا كصوت ابنتي مرجريت ، أو التمثيل على الشاشة البيضاء . أما التردد على البيت الأبيض والتداخل في شؤون صاحب البيت الأبيض فالزنوج السود أحق منها بذلك !

الانجليزي : بل ليتها بقيت معنا يا سيدي الرئيس لعلها تشير علينا برأي نافع

الرئيس : رأي نافع فيماذا يا مستر جونبول ؟

الإنجليزي : في هذه المشكلة

الرئيس : أي مشكلة ؟

اليهودي : مشكلة القراض .

الرئيس : القراض ... ويلكم ماهو هذا القراض الذي ظللتم تتحدثون عنه دون أن تبينوا لي حقيقته ؟

الإنجليزى: أجل لقد تشعب بنا الحديث يميناً وشمالا دون أن نشرح للرئيس حقيقة هذا القراض .

الرئيس : (منفعلا) حـذار الآن أن ينطق أحدكما بكلمة واحدة قبل أن تشرحوا لى هـذا القراض . (بصوت عال) ماهو القراض ؟ !

اليهودى : مشروع القرض المصرى الذى اتفق عليه الدكتور مصدق مع النحاس باشا لتسد به الحكومة الإيرانية حاجتها إلى المال لاستئناف العمل فى إنتاج بترولها وإدارة معامل تكريره .

الرئيس : ماذا تقولان ؟ من أين بلغكما هذا النبأ ؟

الإنجليزى: من قلم استخباراتنا فى مصر .

الرئيس : هذا لا شك خبر كاذب . لم يعد لقلم استخباراتكم قيمة بعد ماجازت عليه حيلة النحاس باشا فأعلن إلغاء المعاهدة وهـذا القلم نائم لا يدرى شيئاً .

اليهودى : كلا يا سيدى الرئيس فقد تلقينا نحن أيضاً هذا الخبر من جواسيسنا فى مصر !

الرئيس : يا للداهية ! لكن لا تخافا . . من أين للحكومة المصرية أن تقرض القروض وهى نفسها فى حاجة إلى القروض ؟

الإنجليزى: إنه قرض وطنى يا سيدى الرئيس ستطرح أسهمه على الشعب .

الرئيس : أو تظنان أن الشعب المصرى سيقبل على شراء أسهمه ؟

اليهودى : لم لا يا سيدى ؟ إنه سيفيد مصر اقتصادياً إذ سيمتص كثيراً من تضخمها النقدى ، ويساعد أغنياءها على تشغيل أموالهم المعطلة فى البنوك والمصارف ، كما يساعد عامة الشعب على التوفير والادخار .

الإنجليزى: ثم لا تنس يا سيدى هذه الآونة بالذات إذ بلغت حماستهم الوطنية درجة الغليان .

اليهودى : أضف إلى ذلك أن الحكومتين معاً تضمنان هذا القرض .

الرئيس : لكن كم مبلغ هذا القرض ؟

الانجليزى: لا ندرى على التحقيق كم مبلغه .

الرئيس : لن يتجاوز مليونين أو ثلاثة على أى حال ، فماذا يصنع هذا القرض لإيران وهى فى حاجة إلى مائة وعشرين مليون دولار ؟

الانجليزى: هذا صحيح ولكن وجه الخطورة فى هذا المشروع أنه قد يكون فاتحة لمشروعات مماثلة فى البلاد الإسلامية الأخرى ، فقد بلغنا أن المصريين سيقومون بدعاية فى باكستان وأفغانستان والعراق والمملكة العربية السعودية لتساهم بدورها فى هذا القرض .

الرئيس : يالليوم الأسود . هل تدريان ما معنى هذا إن نجح ؟

الانجليزى : معناه القضاء على سلطان الدولار فى رقعة كبيرة من العالم

اليهودى : بل ربما فى العالم كله بعد ذلك .

الانجليزى : أجل ستعقد قروض مثل هذا بين بعض الدول الإسلامية وبعض من الدار البيضاء غرباً إلى أندونيسيا شرقاً كلما احتاجت إحداهن إلى القيام بمشروع لاستثمار مواردها التى لا تنضب . ثم قد تعقد القروض بعد ذلك بين هذه الدول الإسلامية وبين سائر الدول الشرقية كالهند وبورما والحبشة وربما الصين بعد ذلك واليابان والفيلبين .

الرئيس : (فزعاً) اسكت ! لقد روعتنى . لقد كدت أجن . هذا خطر أعظم من خطر الروس .

اليهودى : بل أعظم من خطر ألمانيا الهتلرية . تصور يا سيدى الرئيس ماذا يكون مصير اسرائيل يومئذ . اسرائيل التى أنفقتم فى إنشائها الأموال وعقدتم عليها الآمال ؟

الرئيس : أجل . ماذا يكون مصير اسرائيل ؟ أستطيع أن أتصور زوال بريطانيا من الوجود بل أوربا كلها بل حتى الولايات المتحدة ، ولكن الهلع يقتلني إذا تصورت زوال اسرائيل !

اليهودي : مرحى يا سيدي الرئيس ! مرحى يا سيد حكماء الأرض !

الرئيس : سجّل كلمتنا هذه وبلّغها لحكومتكم ولجميع هيآتكم في العالم .

اليهودي : سأفعل يا سيدي الرئيس . . إنها كلمة عظيمة لا يستطيع أن يقولها إلا عظيم مثلك !

الرئيس : ويلكما . . لا بد من العمل السريع .

الانجليزي : أجل . . إننا ما اقتحمنا عليك البيت الأبيض على غير موعد سابق إلا لنحثك على العمل السريع لتلافي هذا الخطر الداهم .

الرئيس : أين سكرتيرتي ؟ مس آلن ! مس آلن !

السكرتيرة : (تدخل) نعم يا سيدي الرئيس .

الرئيس : اتصلي بجميع مستشارينا ليحضروا حالا .

السكرتيرة : المستشارين الرسميين يا سيدي ؟

الرئيس : الرسميين وغير الرسميين . . ابدأي أولا بغير الرسميين . . ابدأي بالمستر باروخ والمستر مورجنتاو وسائر العصبة !
هيا . هيا أسرعي .

السكرتيرة : حالا يا سيدي حالا . (تخرج) .

الرئيس : وأنتما أليس عندكما ما تشيران به عليّ ريثما يحضر هؤلاء ؟

اليهودي : أن تتصلوا بأسرع ما يمكن بالدكتور مصدق في مصر قبل أن يبرحها إلى بلاده .

الانجليزي : وتعرضوا عليه ما يشاء من القرض بكل سخاء حتى يعدل عن ذلك المشروع الخطير .

الرئيس : أجل سنقرض إيران أى مبلغ تريده ولو استغرق كل الاعتمادات التى خصصت للنقطة الرابعة !

اليهودى : أجل هذا عين الصواب يجب تدارك هذا الأمر بأى ثمن .

الرئيس : سنعطيها القرض بدون قيد ولا شرط .

الانجليزى : نعم . نعم . . لكن لا بأس يا سيدى الرئيس أن تشترطوا عليها التفاهم معنا لضمان بعض مصالحنا هناك .

الرئيس : كلا . . لتذهب مصالحكم إلى الجحيم . . سنعطيها القرض بدون قيد ولا شرط .

اليهودى : صدقت ياسيدى . . بدون قيد ولا شرط . . اللهم إلا أن تلتمسوا منها أن تعود إلى الاعتراف باسرائيل فانها لن ترفض ذلك ولا سيما إذا أجزلتم لها القرض بكل كرم وسخاء .

الرئيس : طبعاً طبعاً يامستر كوهين . . هذا شرط لا جدال فيه .

الانجليزى : وانجلترا ياسيدى الرئيس ؟

الرئيس : حسبها أننا سنضمن لها البقاء فى الوجود !

اليهودى : وسيبقى لها أيضاً لقب « بريطانيا العظمى » !

الرئيس : اجل . . ثق يامستر جونبول أننا لن نجرد دولتك من هذا اللقب

الانجليزى : ماذا نصنع بهذا اللقب ياسيدى الرئيس ؟

الرئيس : اصنعوا به ما تشاؤون . . خوفوا به من لا يزال يخافكم من زنوج افريقيا الاستوائية !

الانجليزى : حتى هذا اللقب ياسيدى الرئيس سيطير منا إذا لم تتداركه أنت بعطفك ومعونتك .

الرئيس : كلا لن يطير منكم هذا اللقب أبداً حتى ولو ماتت دولتكم فعلا فسندعوها يومئذ : « المرحومة بريطانيا العظمى » !

« ستار »

الأستاذ علي أحمد باكثير

- اخناتون ونفرتيتى
- سلامة القس
- وا اسلاماه
- قصر الهودج
- الفرعون الموعود
- شيلوك الجديد
- عودة الفردوس
- روميو وجولييت
(مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
- سر الحاكم بأمر الله
- ليلة النهر
- السلسلة والغفران
- الثائر الأحمر
- الدكتور حازم
- أبو دلامة (مضحك الخليفة)
- مسمار جحا
- مأساة أوديب
- سر شهرزاد
- سيرة شجاع
- شعب الله المختار
- امبراطورية فى المزاد
- الدنيا فوضى

— اوزوريس
— فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية
— دار ابن لقمــان
— قطط وفيران
— هاروت وماروت
— جلفـدان هانم
— الفلاح الفصـيح
— حبـل الغسيل
— هكذا لقى الله عمر

الأستاذ عبد الســتار فـراج

— انتصــار المنصــورة

الأستاذ اسماعيل ولى الدين

— النجوم تبكى ايضا
— طائر اسمه الحب
— الأســـتاذ (بالاشتراك مع الأستاذ كمال الملاخ)

الأستاذ احسان عبد القدوس

- صانع الحب وبائع الحب
- انا حرة
- الطريق المسدود
- اين عمرى
- النظارة السوداء
- فى بيتنا رجل
- لا أنام
- منتهى الحب
- لا تطفىء الشمس (جزء أول)
- لا تطفىء الشمس (جزء ثان)
- شىء فى صدرى
- زوجة أحمد
- البنات والصيف
- لا شىء يهم
- انفه وثلاث عيون (جزء أول)
- انفه وثلاث عيون (جزء ثان)
- شفتاه
- لا .. ليس جسدك
- عقلى وقلبى
- بئر الحرمان
- علبة من صفيح
- ثقوب فى الثوب الأسود
- بنت السلطان

— سيدة فى خدمتك
— نساء لهن أسنان بيضاء
— لا استطيع أن أفكر وانا ارقص
— الوسادة الخالية
— دمى ودموعى وابتسامتى
— الراقصة والسياسى
— حتى لا يطير الدخان
— العذراء والشعر الأبيض
— ونسيت أنى امرأة
— الهزيمة كان اسمها فاطمة
— لا تتركونى هنا وحدى
— الحياة فوق الضباب
— آسف لم أعد أستطيع

الأستاذ الدكتور نبيل راغب

قاص موهوب يسر « **مكتبة مصر** » أن تنشر انتاجه

— توابل الحب
— جبروت امرأة
— سور الأزبكية
— سوق الجوارى
— الجيل الضائع
— عصر الحريم
— غرام الأفاعى
— المذاهب الأدبية
— قلعة الكبش

للأستاذ عبد الحميد جوده السحار

قصة الاسلام منذ ايام ابراهيم الخليل الى ان لحق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى . وقد كتب المؤلف الحقائق التاريخية فى أسلوب قصصى أخاذ .

وفى هذه الأجزاء يستقصى المؤلف تاريخ العرب قبل الاسلام ، وكتب لأول مرة تاريخ العرب ما بين ابراهيم ونشأة العدنانيين ، معتمدا على ما كشفت عنه الحفريات الأخيرة فى بلاد العراق وسورية وأرض العرب ، وهى حقبة لم يتعرض لها الاخباريون ولا المؤرخون الاسلاميون .

١ ــ ابراهيم أبو الأنبياء
٢ ــ هاجر المصرية أم العرب
٣ ــ بنو اسماعيل
٤ ــ العدنانيون
٥ ــ قريش
٦ ــ مولد الرسول
٧ ــ اليتيم
٨ ــ خديجة بنت خويلد
٩ ــ دعوة ابراهيم
١٠ ــ عام الحزن
١١ ــ الهجرة
١٢ ــ غزوة بدر
١٣ ــ غزوة أحد
١٤ ــ غزوة الخندق
١٥ ــ صلح الحديبية
١٦ ــ فتح مكة
١٧ ــ غزوة تبوك
١٨ ــ عام الوفود
١٩ ــ حجة الوداع
٢٠ ــ وفاة الرسول

رقم الإيداع ١٥١٢ ــ ٨٥
الترقيم الدولى ٣ ــ ٠١٣٢ ــ ١١ ــ ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



الثمن ١٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه